جامعة الأزهر
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
قسم الثقافة الإسلامية

لغة الجسد بين الإسلام والدراسات التنموية البشرية
وأثرها على المدعـو
ـ دراسة مقارنة ـ

إعــداد
د/ محمود رشاد محمد
المدرس بالقســم

ملخص البحث:

يقارن هذا البحث بين الإسلام والدراسات التنموية فيما يتعلق بلغة الجسد، ويبين أثرها على المدعو، ويبدأ البحث بالحديث عن لغة الجسد من حيث: الشكل العام ـ حسن الهندام، ثم نظرات العين، وحركة الرأس، وتعبيرات الوجـه، والثغر البسّام، والابتسامة الجذابة، والوقفـة، والإشـارة، وأخيرا نبرة الصـوت.

ويخلص هذا البحث إلى:

١ـ دراسة (لغة الجسد) أمرٌ مهم جداً لوضع أيدي الدعاة على أحد المؤثرات المهمة التي قد يغفل البعض عنها.

٢ـ تطبيق النبي ﷺ لهذه الأشياء قبل أن يتكلم فيها المختصون المحدثون، ليعطي دليلاً آخر على صدق النبي الكريم ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ.

٣ـ وجوب الاهتمام بمثل هذه الدراسات، لأنها تعين الداعية على أداء رسالته، كما أنها مفتاح للخير بالنسبة لغير المسلمين.

الكلمات الدالة:

لغة-الجسد-الإسلام-الدراسات-التنمية-أثر-المدعو

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين الآثمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعـد ؛؛؛

فإن المتأمل في ساحة الدعوة إلى الله، يجدُ بعض الدعاة يجيدون الخطبة إعداداً وتجهيزاً، ولكنه ينسى أو يتناسى أن التأثير لا يتوقف على الإعداد الجيد للموضوع فقط؛ ولكنه يتوقف على كل ما بدوره يعمق ذلك الأثر، ويظهره، ويجليه، ومن هذه الأمور التي يجب أن يهتم بها المتحدث عامة . والداعي خاصة . الأمور المعينة على قوة التأثير من نبرة الصوت، والوقفة، والإشارة، وتعبيرات الوجه... وهو ما يسمى في دراسات التنمية البشرية بلغة الجسد، وترجع أهمية هذا الموضوع لأمور عدة منها:

١ . بيان شمولية الإسلام وعظمته، وأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فهذا الموضوع يتشدق به علماء التنمية البشرية الغربية، ويزعمون أنهم أصحاب السبق في ذلك، فيأتي هذا البحث ليؤكد لهم أن الإسلام يدعو أتباعه للاهتمام بكل ما من شأنه أن يعمق الفكرة، ويوضح المعنى، ويعتبر ذلك تعبداً، وطاعةً لله ولرسوله، والدليل على ذلك هذا الموضوع الذي يضع أيدي الدعاة والمتحدثين على الخطوات الصحيحة للأشياء الظاهرة التي تكمل الفكرة الباطنة.

٢ . بيان الاتفاق بين الإسلام وهذه الدراسات التنموية المختلفة في كثير من هذه الأشياء، فالمؤثرات هي المؤثرات، إلا أن الإسلام يهذبها، يضبطها، ويقومها، فالأساس مشترك، إلا أن التعديل والتقويم تقوم به الثقافة الإسلامية ليكون الأثر في موضعه الصحيح.

٣ . محاولة الإحاطة بهذه الموضوعات من جوانبها المتعددة، لتكون الفائدة للدعاة أعم وأتم، فإن بعض المؤلفين يأتي بهذه الأشياء عَرَضاً دون أن يوضحها كاملة شاملة ويوضح المحترز منها، وعلى سبيل المثال، نجد بعض الدعاة يبدأ خطبته وينهيها رافعاً صوته على وتيرة واحدة، وعندما تسأله، لِمَ لا تنوع في نبرة صوت بما يتفق مع الموقف، والكلمة، والمشاعر، يجيبك بقوله، كان النبي ﷺ إذا خطب كأنه منذر جيش، وللأسف إجابته هذه تدل على:

١ . عدم الأمانة العلمية في النقل.

٢ . بتر المعلومة دون توضيحها شاملة كاملة.

٣ . ظلم هذا الداعي لهذه الدراسات الدعوية المفيدة.

وأكبر ردّ على هذه الطريقة السيئة في الدعوة هو أن نبيّن له أن النبي ﷺ كان منذر جيش في المواقف التي تقتضي ذلك، من ذكر الجنة والنار، والحديث عن عذاب القبر، والموعظة العامة التي لا تحتاج إلى تأخير....، أما في غير ذلك فإن السنة شاهدة على تغيير نبرة رسول الله بحسب مقتضى المقام، وهذا ما يتضح في ثنايا هذا البحث.

سبب اختيار الموضوع:

ويرجع سبب اختيار الموضوع لأمور عدة منها:

١ . دعوة لكل من يشتغل بفنون القول، من الدعاة والمتحدثين وغيرهم لأخذ هذه الموضوعات مأخذ الجدّ، فلقد أثبتت الدراسات والإحصائيات جدواها وأثرها في إقناع المستمع.

٢ . تنبيه الغافلين من المتحدثين إلى الإعراض عن بعض الأمور الفرعية البسيطة التي تحدث الفتنة والبلبلة بين المستمعين وهي هي لها تخريجات وتأويلات

صالحة في الشرع مثل طول الثياب وقصره- وهذا ما سيتضح في ثنايا البحث إن شاء الله-.

٣ . بيان أن القسمات المشتركة بين الثقافات هو نوع من التلاقح الثقافي، والامتزاج العلمي، ولكن يجب أن يكون بميزان علمي صحيح في النقل، فما وافق شرعنا قبلناه، وما خالفه رفضناه، لا نميل إلى الرافضين بإطلاق، ولا المتلقين بإطلاق، بل لابد أن نضع غربال الفهم الصحيح للنقل والتلقي، خاصةً في مثل هذه الدراسات الإنسانية المشتركة.

طريقة البحث:

سلكت في هذا البحث ما يلي:

١ . مراعاة الحيدة العلمية في البحث، خاصة في الأمور التي فيها مقارنات.

٢ . الحرص على الأمانة العلمية وعزو كل نصٍ إلى قائله.

٣ . تخريج الآيات القرآنية بدقة، وتخريج الأحاديث من مظانها، وإذا كان الحديث في الصحيحين ذكرت رقم الحديث وبابه وكتابه، وإذا كان في غيرهما زدت عملاً آخر وهو الحكم عليه وبيان درجته.

٤ . توضيح الكلمات الغامضة سواء كانت في آية أو حديث أو أثرٍ أو نصٍ... ليكون المعنى واضحاً.

٥ . توضيح عنوان البحث توضيحاً ينفي الجهالة بمقصوده ودلالته.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وفصلٍ واحدٍ وخاتمة.

فأما المقدمة، فذكرت فيها عناصر المقدمة العلمية.

وأما التمهيد، فقمت فيه بتوضيح عنوان البحث، ومصطلحاته.

وأمّا لبّ البحث فيتكون من المباحث التالية:

المبحث الأول: الشكل العام ـ حسن الهندام.

المبحث الثاني: نظرات العين.

المبحث الثالث: حركة الرأس.

المبحث الرابع: تعبيرات الوجـه.

المبحث الخامس: الثغر البسّام ـ الابتسامة الجذابة ..

المبحث السادس: الوقفة.

المبحث السابع: الإشـارة.

المبحث الثامن: نبرة الصـوت.

ثم تأتي الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات، ثم يأتي ثبت المصادر والمراجع.

والحمد لله أولاً وأخراً وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيــد:

التعريف بمصطلح البحث من أهم خطوات البحث العلمي لتحديد المفهوم، وإخراج المتشابهات، وتعيين المراد ومصطلح هذا البحث هو ترجمة للمصطلح الإنجليزي المستخدم في دراسات التنمية البشرية المشتهر والمتعارف عليه (Body Language) ويعني في ترجمته: التعبير الحركي الذي يعني عملية الاتصال عن طريق استخدام مكونات جسد الفرد من خلال حركة اليدين، وطريقة الجلوس والإيماءات أو من خلال التعبير الحسي عن طريق احمرار الوجه والرعشة والتشنج وغيرها [١].

وقد دلت الدراسات التنموية المختلفة على نفس المعنى ولكن بمفهوم آخر هو الاتصال غير اللفظي NoN – Verbal Behavior . والذي يعني (عملية نقل شعور وأحاسيس الفرد للآخرين حول حالته النفسية عن طريق الصمت أو التعبير الحركي أو عن طريق الإعراض عنهم أو الابتعاد والاقتراب منهم) [٢].

فالمقصود بالمفاهيم السابقة الدلالة على أن شكل المتحدث وحركاته، وإشارته، ونظراته، ونبراته، وتعبيرات وجهه، ووقفته، لها أثر قويٌ وفعالٌ في المتحدث، هذا بخلاف المادة العلمية المقدمة للمستمع، فالمستمع يتأثر بالمادة العلمية، وبمقّدِم المادة العلمية، وهذا البحث يأتي ليتحدث عن مُقّدِم المادة العلمية سواء كان داعيةً إلى الله أو مُدرِّب، أو مُدرس.

ويأتي هذا البحث ليبين أثر مظهر الداعية، وحركاته، وتعبيرات وجهه، وإشارته، ووقفاته، وحركات رأسه، وجلسته،... يأتي هذا البحث ليبين أثر هذا في نفسية المستمع والمدعو؛ ثم يقارن بين وجهة نظر الإسلام ودراسات التنمية البشرية

(١) د/ حبيب الصحاف، معجم إدارة الموارد البشرية وشئون العاملين، ص ١٧ .
(٢) المرجع السابق، ص ١٠٨ .

في ذلك.

ويمكن القول: إن مصطلح لغة الجسد أو التعبير الحركي، أو الاتصال غير اللفظي دلت عليه الدراسات الدعوية ولكن تحت عنوان السمات الشكلية، أو الصفات الخارجية، ولكنها خصصت في الغالب الدراسة عن مظهر الداعية أو شكله؛ ولكن هذا البحث يأتي ليضع لبنة في ذلك البناء المبارك، ويزيد شيئاً متواضعاً وهو أن دراسة السمات الشكلية أو الخارجية ليست بمنأى عن حركة الرأس أو نظرة العين أو نبرة الصوت أو تعبيرات الوجه أو غير ذلك؛ فهي مقدمات وضرورات لابد منها في الإقناع.

لذا يمكن تعريف عنوان البحث بأنه: (الأثر النفسي الذي تحدثه مكونات جسد الداعية الخارجية من الشكل العام، ونظرات العين، وحركة الرأس، وتعبيرات الوجه، والوقفة، والإشارة، ونبرة الصوت، والبسمة، في نفسية المدعو سواء بالإيجاب أو السلب ثم مقارنة ما دعت إليه الدراسات التنموية البشرية في ذلك وبين ما دعا إليه الإسلام الحنيف).

المبحث الأول

الشكل العام . حسن الهندام .

يقرر علماء التنمية البشرية حقيقة مهمة وهي أن: جمال مظهر المتحدث وحسن هندامه يؤثر في نفسية المستمع، وحسن استجابته؛ لأن العين معقودةٌ بالمتحدث تتأثر به، وتنجذب إليه؛ فإذا اهتم المتحدث بشكله الخارجي وحسن هندامه يكون قد نجح في تهيئة الجو الملائم للاستجابة وحسن الإصغاء، وإذا أهمل في شكله العام وهندامه يكون قد فقد أحد العوامل المهمة في التأثير والإقناع .

(قال الجاحظ: إن إياس بن معاوية المزني [١] أتى حلقة لقريش في مسجد دمشق فاستولى على المجلس، ورأوه أحمر دميماً، باذّ الهيئة، قشفاً فاستهانوا به، فلما عرفوه اعتذروا إليه، وقالوا الذنب مقسوم بيننا وبينك، أتيتنا في زي مسكين تكلمنا بكلام الملوك) [٢].

وينصح علماء التنمية البشرية الداعي والخطيب والمتحدث بالاهتمام بالمظهر فيقولون له: (إن مظهرك عنوانك فأول ما يعرفه الناس عنك هو شكلك، فإن كان مهندماً أنيقاً استحسنوه، وإن كان فوضوياً كان لهم فيك رأي غير مستساغ، خاصةً وأن كثيراً من الناس يربط بين ترتيب الهندام وترتيب الأفكار!! وفوضى الملبس وفوضى

(١) هو إياس بن معاوية بن قرة المزني، من مزينة مضر، ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة، وكان صادق الظن لطيفاً في الأمور وكان لأم ولد، توفى سنة ١٢٣هـ، قال ابن هشام (ما رأيت عقول الناس إلا وقد كاد يتقارب بعضها من بعض إلا ما كان من الحجاج وإياس بن معاوية فإن عقولهما كانت ترجح على عقول الناس)، البيان والتبيين، الجاحظ، ج ١ ص ٥٥، ٥٦ .

(٢) البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المتوفى ٢٥٥هـ، ج ١ ص ٥٠، دار الكتب العلمية، بدون .

الذهن!!) [1].

(لقد أرسل عالم نفساني إلى مجموعة كبيرة من الخطباء وسألهم عن تأثير الملابس فيهم فشهد جميعهم دون استثناء بأنهم حين يكونون في أبهي زينة، وأجمل ملبس، ويعرفون ذلك ويحسونه، فإنهم يملكون زمام أنفسهم ولا يخطئون) [2].

هذا الأثر الطيب من التأثير في نفوس المستمعين نتيجة حسن الهندام كأحد مفردات لغة الجسد دعا إليه الإسلام وحث عليه، واعتبره علامةً من علامات الانقياد والاتباع، قال تعالى: ژٱٻٻٻٻپپپپڀڀڀڀٺٺٺٺژ [3].

يقول بن كثير . ~ .: (قال العوفي عن ابن عباس في قوله ژٻٻپپڀژ قال كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة والزينة اللباس وهو ما يواري السوأة و ما سوى ذلك من جيد البزّ والمتاع فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد، ولهذه الآية وما ورد في معناها من السنة يستحب التجمل عند الصلاة لاسيما يوم الجمعة ويوم العيد والطيب لأنه من الزينة والسواك لأنه من تمام ذلك) [4].

فالجمال مطلب فطري، فالنفس تحبه، والعين تألفه، والروح تهفو إليه، وفي أي شكل تبدي الجمال تجد له جمهوراً من أصحاب النفوس الطيبة، والفطر السليمة.

ولهذا النبي ﷺ يقرر هذا الأمر فيقول: ﴿ إن الله جميل يحب الجمال ﴾ [5].

---

(١) الشخصية الساحرة، ص ٩٩ .

(٢) د/ شرف الدين أحمد آدم، الخطابة علم وفن، ص ٢٣٧. ٢٣٨، دار الحسين الإسلامية، ط/١، سنة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

(٣) سورة الأعراف، الآية (٣١) .

(١) تفسير ابن كثير، ج ٢ ص ٢٥٤ بتصرف يسير .

(٥) جزء من حديث نصه: عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: ﴿ لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً قال: إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وَغْمطُ الناس ﴾ صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، ج ٢ ص ٨٩، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون .

وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عباس ﷺقال: ﴿ فلقد رأيت على رسول الله أحسن ما يكون من الحلل ﴾ [١].

وحسن المظهر يقتضي كذلك أن يهتم الإنسان بشعره ورائحته ونظافته، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ من كان له شعر فليكرمه ﴾ [٢].

والنبي ﷺ كان يأمر أصحابه بأن يصلحوا من هيئتهم ويعتنوا بملبسهم، فيقول لهم: ﴿ إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم، وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش ﴾ [٣].

وعن عطاء بن يسار قال:﴿ فدخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه رسول الله بيده أن اخرج كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته، ففعل الرجل ثم رجع فقال رسول الله ﷺ: ﴿هذا خيرٌ من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان﴾[٤].

فتشبيه النبي ﷺ له بالشيطان، يفيد مدى كراهة النبي ﷺ لهذا السلوك المشين، والذي لا يتفق مع مبادئ الإسلام العامة.

---

(١) جزء من حديث نصه: عن ابن عباس { قال: ﴿ لما خرجت الحَرُورية أتيتُ علياً ﷺ فقال ائتِ هؤلاء القوم فلبست أحسن ما يكون من حُلَل اليمن، قال أبو زُمَيْل وكان ابن عباس رجلاً جميلاً جهيراً، قال ابن عباس فأتيتهم فقالوا مرحباً بك يا ابن عباس ما هذه الحُلَّة، قالت ما تَعيبون عَليَّ لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسنَ ما يكون من الحُلَل ﴾ والحرورية: طائفة من الخوارج نُسبوا إلى حَرُورَا بالمد والقص وهو موضع قريب من الكوفة كان أول مجمعهم وتحكيمهم فيه وهم أحد الخوارج الذين قاتلهم علي ﷺ، ومعنى كلمة جهيراً: بفتح الجيم وكسر الهاء أي ذا منظر بهي، عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، كتاب اللباس، باب: لبس الغليظ، ج ١١ ص ٨٣، مكتبة ابن تيمية، ط/٢، سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .

(٢) المرجع السابق، كتاب: الترجل، باب: في إصلاح العشر، حديث رقم: ٤١٤٥، ج١١ ص ٢١، مرجع سابق، وهو صحيح .

(٣) سنن أبي داود، كتاب: اللباس، باب: ما جاء في إسبال الإزار، وقال صحيح الإسناد .

(٤) الموطأ للإمام مالك بن أنس، كتاب: الجامع، باب: إصلاح الشعر، ج ٥ ص ١٣٨٤، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد آل نهيان، ط/١، سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م .

والرائحة الزكية الطيبة تكّمل ذلك الجمال الخارجي، وأكبر دليل على ذلك أن النبي ﷺ كان يتطيب بأجمل الطيب، ولا يشم منه إلا الرائحة الزكية، فلا غرو في ذلك، فهو الذي قال: ﴿ المِسْكُ أطيب الطيب ﴾ [1].

فالطامح في كسب قلوب الناس المقتفي لأثر سيد المرسلين ﷺ يجب أن يدرك أن اللباس يؤثر في نفسية لابسه ورائيه بشكل يدفع الاهتمام به.

يقول الشوكاني . ~ .: (إن الأعمال بالنيات، فليس المنخفض من الثياب تواضعاً وكَسْراً لثورة النفس التي لا يؤمن عليها من التكبر، إن لبس غالي الثياب من المقاصد الصالحة الموجبة للمثوبة من الله، ولبس الغالي من الثياب عند الأمن على النفس من التسامي المشوب بنوعٍ من التكبر لقصد التوصل بذلك إلى تمام المطالب الدينية من أمرٍ بمعروف أو نهي عن منكرٍ عند من لا يلتفت إلا إلى ذوي الهيئات كما هو الغالب على عوام زماننا وبعض خواصه لاشك أنه من الموجبات للأجر لكنه لابد من تقييد ذلك بما يحل لبسه شرعاً) [2].

وجمال المظهر لا يعني أبداً أن يكون اللباس غالي الثمن، والعطر نادر الثمن، كلا فقد يكون اللباس زهيد الثمن ولكنه يكون نظيفاً أنيقاً، يجد من رآه اهتمام لابسه وعنايته بنفسه.

وفي أمر حسن الثياب يجب التنبيه على عدة أمور:

الأمر الأول: الثياب وصفٌ لا شكل:

وأقصد بهذا القيد أن الثياب في الإسلام له أوصاف معينة متى تحققت كان مقبولاً وهذه الأوصاف أن يكون ساتراً للعورة،لا يصفّ ولا يشف،ولا يحدد العورة ولا

(١) صحيح مسلم، كتاب: الألفاظ من الأدب وغيرها، باب: استعمال المسك وأنه أطيب الطيب، وكراهة رد الريحان والطيب، ج ٢ ص ٤٨٧، حديث رقم: ٢٢٥٢ .

(٢) عون المعبود في شرح سنن أبي داود، كتاب: اللباس، باب: لبس الغليظ، ج ١١ ص ٨١، مرجع سابق .

يحجمها، وأن لا يكون لباس شهرة، وألا يكون من الحرير، وهذا بالنسبة للرجال، ومتى تم ذلك كان حلالاً، سواء كان لباساً بدوياً، باكستانياً، أمريكياً،...

وهذا من سعة الإسلام الذي يشمل الناس جميعاً، ويترك مساحةً مشروعة للعادات والتقاليد التي لا تتعارض مع الدين، يؤكد ذلك ما رواه الإمام أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا غير مَخِيَلة ولا سَرَف﴾ وقال يزيد بن مرة: في غير إسراف ولا مخيلة ﴾ [1].

لذا نجد النبي ﷺ نوّع في ثيابه وملبسه من حيث الشكل واللون والنوع ليعلم أمته أن أمور الثياب هي من الهيئات المتعددة الواسعة التي لا يجوز لأحدٍ أن يحددها بشكل معين أو لون معين ثم يدّعي أن هذا مذهب أهل السنة، وأن ما عداه مخالفاً للسنة، يؤكد هذا المعنى ما ورد في سنة النبي ﷺ، فعن عائشة قالت: ﴿خرج علينا رسول الله ﷺ ذات غَداةٍ وعليه مِرْطٌ مُرَحَّلٌ من شعر أسود ﴾ [2]

(والمرط بكسر الميم وإسكان الراء هو كساء يكون تارة من صوفٍ وتارة من شعر وتارة من كتاب أوخز، قال الخطابي: هو كساء يؤتز به، وقال النضر: لا يكون المرط إلا درعاً ولا يلبسه إلا النساء ولا يكون إلا أخضر وهذا الحديث يرد عليه.

وأما قوله مرحل بفتح الراء وفتح الحاء المهملة وحكي القاضي أن بعضهم رواه بالجيم وهو عليه صور الرجال، والصواب الأول ومعناه عليه صور رحال الإبل ولا بأس بهذه الصور وإنما يحرم تصوير الحيوان.

وقال الخطابي:المرحل الذي فيه خطوط، وأما قوله من شعر أسود فقيده بالأسود لأن

---

(١) المسند، من مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث رقم: ٦٦٩٥، ج ١٠ ص ٦٦٩٦، دار المعارف بمصر، ١٩٧٢م/ ١٣٩٢هـ. وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح .

(٢) صحيح مسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب: التواضع في اللباس والاقتصار على الغليظ منه واليسير في اللباس والفراش وغيرهما وجواز لبس الثوب الشعر وما فيه أعلام، حديث رقم: ٢٠٨٠، ج ٢ ص ٤٠٩ .

الشعر قد يكون أبيض") [١].

فالنبي ﷺ لبس هنا الثوب المخطط الأسود ليدل على جواز تعدد الألوان والأشكال.

حدثنا قتادة قال: ﴿ قلنا لأنس بن مالك أي اللباس كان أحب إلى رسول الله ﷺ أو أعَجَب إلى رسول الله ﷺ قال: الحِبَرَة ﴾ [٢].

(والحِبَرَة هي بكسر الحاء وفتح الباء ثياب من كتان أو قطن محبرة أي مزينة. والتحبير التزيين والتحسين، والحبرة مفرد الجمع حبر وحبرات كعنبة وعنبات، وفيه جواز لبس المخطط) [٣].

وعن أبي بردة قال: ﴿ دخلت عليّ عائشة فأخرجت إلينا إزاراً غليظاً مما يصنع باليمن، وكساءً من التي يسمونها الملبَّدة قال: فأقسمت بالله إن رسول الله ﷺ قبض في هذين الثوبين ﴾ [٤].

وعن جابر بن عبد الله قال: ﴿ لما تزوجت قال: قال لي رسول الله ﷺ اتخذت أنماطاً! قلت وأنىّ لنا أنماطاً، قال: أما إنها ستكون، قال جابر وعند امرأتي نمطٌ فأنا أقول نحيّه عني وتقول: وقد قال رسول الله ﷺ إنها ستكون ﴾ [٥].

(والنَمَط هو مفرد الأنماط بفتح الهمزة وهو ظهارة الفراش وقيل ظهر الفراش ويطلق أيضاً على بساط لطيف له خمل يحمل على الهودج، وقد يجعل ستراً وفيه جواز، اتخاذ الأنماط إذا لم يكن من حرير ،وفيه معجزة ظاهرة بإخباره لها وكانت كما

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٤ ص ٥٨ .

(٢) صحيح مسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب: فضل لباس ثياب الحبرة، حديث رقم: ٢٠٧٩، ج ٢ ص ٤٠٨.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ١٤ ص ٥٦ .

(٤) صحيح مسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب: التواضع في الثياب، رقم: ٢٠٨٠، ج ٢ ص ٤٠٩ .

(٥) صحيح مسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب: جواز اتخاذ الأنماط، ج ٢ ص ٤١٠ .

أخبر) [1].

فهؤلاء الصحب الكرام يؤكدون على هذا التعدد في شكل ونوع ولون ثياب النبي ﷺ.

وعن مسروق قال: ﴿ حدثني المغيرة بن شعبة انطلق رسول الله ﷺ لحاجته ثم أقبل فلقيته بماءً وعليه جبة شأمية ﴾ [2].

يقول ابن القيم . ~ . (واعلم أنه كان من هديه ﷺ أن يلبس ما تيسر من اللباس؛ الصوف تارة، والقطن أخرى، والكتان تارة، ولبس البرود اليمانية، والبُرْد الأخضر، ولبس الجُبَّة والقَبَاء، والقميص) [3].

فهذا أكبر دليل على سعة الإسلام في نوع الثياب وشكله ولونه بما يتوافق مع شموليته وعموميته، لذا لم نجد النبي ﷺ عندما كان يأتيه الرجل يريد الدخول في الإسلام يأمره بتغيير ثيابه إلى شكل معين، أو لون معين؛ بل يترك ذلك للعادات والتقاليد، طالما اتسم الثوب بالشروط السابقة.

وإن المرء ليعجب من بعض الدعاة . يدعَون التمسك بالسنة وأنهم من أنصارها . يضيقون واسعاً في هذه الأمور، ويشغلون الناس بأمور فيها من الشرع السعة والتيسير، بل ربما ذهبوا إلى بعض البلاد الأوربية فيكلمون الناس عن هذه الأمور من الثياب وغيرها، ويتركوا أحوال الأقليات الإسلامية، فيحصروا الناس في دائرة ضيقة وفهمٍ واحدً يزعمون أنه فهم السلف الصالح مع أن السلف الصالح قرروا في هذه المسألة غير ما قرروا.

الأمر الثاني: طول الثوب وتقصيره:

(١) صحيح مسلم، بشرح النووي، ج ١٤ ص ٥٩ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: الجبة في السفر والحرب، ج ٥ ص ١٠٤ .

(٣) عون المعبود في شرح سنن أبي داود، كتاب: اللباس، باب: لبس الغليظ، ج ١١ ص ٨٠، ٨١، مرجع سابق .

الضابط في طول الثوب وتقصيره يرجع إلى النية، فإن كان الثوب طويلاً والنية فيه الخيلاء والكبر والعجب فهذا هو المرفوض لاقتران النية السيئة فيه.

وإن كان الثوب طويلاً أسفل الكعبين ولا توجد نية الكبر ولا الخيلاء ولا العجب فلا حرمة فيه، ولا تعنيف فيه، والدليل على ذلك الضابط ما يلي:

١ . تقييد النبي ﷺ الحرمة في طول الثوب بالخيلاء قيداً صريحاً، يتوقف الأمر فيه على النية؛ فعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: ﴿ إن الذي يجرّ ثوبه من الخيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة ﴾ (١).

وعن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء ﴾ (٢).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ إزاره بطراً ﴾ (٣).

عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتين يقول: ﴿ من جرّ إزاره لا يريد بذلك إلا المخَيِلة فإن الله لا ينظر إليه يوم القيامة ﴾ (٤).

٢ . ظهور طول الثياب من بعض أصحاب رسول الله ﷺ مثل سيدنا أبي بكر، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن أنيس.

عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ مَنْ جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، فقال أبو بكر: إن أحد جانبي إزاري يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه، قال:

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم جر الثوب خيلاء، حديث رقم: ٤٠٨٥، ٤٣، ج ٢ ص ٤١١، وقوله: الخيلاء من الاختيال وهو الكبر والاحتقار .

(٢) المرجع السابق، حديث رقم: ٢٠٨٥، ج ٢ ص ٤١٠ .

(٣) صحيح مسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم جر الثوب خيلاء، حديث رقم: ٢٠٧٨، ج ٢ ص ٤١٢.

(٤) صحيح مسلم ، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم جر الثوب خيلاء، حديث رقم: ٢٠٨٥، ٤٥، ج ٢ ص ٤١١ .

لست ممن يفعله خيلاء ﴾ [1].

يقول الشوكاني في النيل: (إن قوله ﷺ لأبي بكر إنك لست ممن يفعله خيلاء تصريحُ بأن مناط التحريم الخيلاء وأن الإسبال قد يكون للخيلاء وغيره فلابد من حمل قوله فإن من المخيلة في حديث جابر بن سليم ﴿ إياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة ﴾ على أنه خرج مخرج الغالب فيكون الوعيد المذكور في حديث ابن عمر متوجهاً إلى من فعل ذلك اختيالاً، والقول بأن كل إسبال من المخيلة أخذاً بظاهر حديث جابر ترده الضرورة، فإن كل أحدٍ يعلم أن من الناس من يسبل إزاره مع عدم خطور الخيلاء بباله ويرده ما تقدم من قوله ﷺ لأبي بكر لما عرفت، وبهذا يحصل الجمع بين الأحاديث وعدم إهدار قيد الخيلاء المصرح به في الصحيحين، وأما حديث أبي أمامة ﴿ بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ لحقنا عمرو بن زرارة الأنصاري في حلة إزار ورداء قد أسبل فجعل رسول الله ﷺ يأخذ بناحية ثوبه ويتواضع لله ويقول عبدك وابن عبدك وأمتك حتى سمعها عمرو فقال يا رسول الله إني أحمش الساقين، فقال يا عمرو إن الله أحسن كل شيءٍ خلقه يا عمرو إن الله لا يحب المسبل ﴾ فحديث أبي أمامة هذا غاية ما فيه التصريح بأن الله لا يحب المسبل وحديث ابن عمر مقيد بالخيلاء وحمل المطلق على المقيد واجب، وأما كون الظاهر من عمرو أنه لم يقصد الخيلاء فما بمثل هذا الظاهر تعارض الأحاديث الصحيحة).

ويقول القاري: (المعنى أن استرخاءه من غير قصدٍ لا يغير لاسيما ممن لا يكون من شيعته الخيلاء) ثم يستطرد قائلاً، وبه يظهر سبب الحرمة في جر الإزار الخيلاء كما هو مقيد بالشرطية من الحديث المصدر به) [2].

وطول ثياب سيدنا عبد الله بن أنيس يؤكدها الإمام أحمد في مسنده ﴿ حدثنا

(١) عون المعبود في شرح سنن أبي داود، كتاب: اللباس، باب: ما جاء في إسبال الإزار، ج ١١ ص ١٤١ .
(٢) المرجع السابق، ج ١١ ص ١٤١، ١٤٣ .

يزيد أخبرنا همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد المكي عن عبد الله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: بلغني حديث عن رجلٍ سمعه من رسول الله ﷺ فاشتريت بعيراً ثم شددت عليه رَحّلي فسرت عليه شهراً حتى قدمت عليه الشام فإذا عبد الله بن أنيس، فقلت للبواب قل له جابر على الباب فقال ابن عبد الله؟ فقلت: نعم فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته فقلت حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يُحشر الله ﷻ الناس يوم القيام أو قال العباد عُراة غرلاً بهما قلت وما بهما، قال: ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الدّيان لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند رجل من أهل النار حق حتى أقصه منه حتى اللطمة، قال: قلت كيف وإنما نأتي الله ﷻ حفاة عراة غرلاً بهما؟ قال: بالحسنات والسيئات ﴾ [1] فعبد الله بن أنيس قام يطأ ثوبه ولو كان قصيراً ما وطأه.

٤ . القاعد الأصولية أن العام يُخَصصَ إذا وجَدَ مخصصاً، وبناء على فهم هذه القاعدة ما ورد من أحاديث عامة تبين أن المسبل إزاره في النار، ولا يكلمه الله، وغير ذلك، يحمل على الخاص الذي تقيد إطالة الثوب بنية الكبر والعجب.

يقول الإمام النووي . ~ .: (وظواهر الأحاديث في تقييدها بالجر خيلاء تدل على أن التحريم مخصوص بالخيلاء وهكذا نص الشافعي على الفرق)[٢].

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث عبد الله بن أنيس، حديث رقم: ١٦٠٤٢، ج ٢٥ ص ٤٣١، ص ٤٣٢، مؤسسة الرسالة، ط/١، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، وهو حديث حسن .

(٢) صحيح مسلم، بشرح النووي، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم جر الثوب خيلاء،ج١٤ ص ٦٢، دار الكتب العلمية، بدون .

٥ . بوبّ الإمام مسلم لهذا المعنى فقال: ﴿ باب تحريم جر الثوب خيلاء وبيان حد ما يجوز إرخاؤه إليه وما يستحب ﴾ [١] .

الأمر الثالث: تخصيص ثياب لمهنة معينة:

يجوز لولي الأمر تخصيص ثوبٍ معين لفئةٍ معينةٍ للتعريف بها، ولتحديد مسئوليتها، مثال ذلك تحديد زي خاص للأطباء والممرضين والمهندسين، وغيرهم.

ومما يجوز تخصيصه زيٌّ خاص بأهل العلم الشرعي مثل الزى الأزهري، ويكون ارتداؤه ساعتها طاعة لولي الأمر التي هي من طاعة الله سبحانه: ژئۈئېئېئىئېئى ئىئىیژ [٢].

والدليل على ذلك أن النبي ﷺ كان يلبس زياً خاصاً في الحرب،وهو لامة الحرب، ويلبس ثياباً جيداً خاصاً بالعيدين وغير ذلك.

فتخصيص النبي . صلوات الله وسلامه عليه . زيّاً خاصاً في الحرب دليلٌ على جواز ذلك التخصيص، وهو من تقييد المباح في الشرع لمصلحة شرعية.

ويظهر من خلال هذه المفردة من لغة الجسد ما تقّرر سابقاً من الإسلام يقبل من الدراسات التنموية الأخرى ما يتفق معه ويرفض ما يخالفه؛ فهو ينقي ما يرد إليه بمنقاة الشرع، وغربال الحق؛ فهو يأمر بحسن الهندام وجمال المظهر طاعة لله ولرسوله؛ ولما يظهره ذلك من أثرٍ في نفسية المستمع؛ فهو يتفق في ذلك مع هذه الدراسات البشرية، والتجارب والاختبارات والمقاييس العلمية؛ إلا أنه لا يتفق معها في إباحتها الثياب الضيقة المحجمة الشفافة التي لا تستر العورة ولا تحفظ عفة الإنسان.

---

(١) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ٢٠٤ . ٢٦١هـ، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم جر الثوب خيلاء، ج ٢ ص ٤١٠، مكتبة الصفا، ط/١، سنة ١٤٢٤هـ/: ٢٠٠٤م.
(٢) سورة النساء، الآية (٥٩) .

فالإسلام لا يقبل الكلام على علته ولا يرفضه من أصله بل يقف موقف الناقد المتفحص البصير؛ وهذا ديدنه وهذا منهجه؛ وسيعرف العلم الحديث مدى صدق ذلك الدين ومدى صحة كلامه؛ ژئوئوئۇئۇئۆئۆئۈئۈئېئېئىژ [1].

(١) سورة فصلت، الآية (٥٣) .

المبحث الثاني

نظرات العين

من المعالم الحقيقية في لغة الجسد نظرة العين؛ فنظرة العين قد تكون بناءةً وقد تكون هدامةً؛ فإن كانت تحمل معاني الاحترام والتقدير والحنان والاهتمام دفعت المدعو إلى الإقبال على الداعي؛والالتفاف حوله،وتقدير كلامه؛ وإن كانت تحمل معاني اللامبالاة، أو الاستكبار والاستعلاء حطمت نفسية المدعو ودفعته إلى الانشغال والانصراف عن المتحدث؛ ولقد قرر علماء التنمية البشرية هذا الأمر وسطروه في كتبهم للتنبيه عليه، واعتبروه من مهارات الاتصال الناجح، ومما جاء في تقريراتهم: (انظر إلى عين محدثك: فهذا يظهر مدى اهتمامك بما يقوله، ويشعرك بأنك مصغ له بكل جوارحك، انتبه لا تثبت عينيك عليه بجمود، ولكن تابعه بعين يظهر فيها الاهتمام والفهم، واجه محدثك بجسمك أو على الأقل بوجهك حتى لا يشعر بأنك غير مهتم به أو تهمله) [١].

وعلى الداعية إلى الله أن يعلم أن الكلمات مجموعة أحرف مجردة لا تستطيع وحدها أن تنقل الرسالة للطرف الآخر بوضوح تام، وأن من أهم عوامل نجاح الاتصال بالمدعو يتوقف على نظرات العين؛ (ولقد أكد أحد العلماء المشتغلين بالتنمية البشرية وهو "ألبرمها رابيان" هذا المعنى فقال: (إن الكلمات وحدها لا يتعدى دورها (٧%) من عملية الاتصال، وتزداد أهمية العامل الصوتي "نبرة الصوت" عن ٣٨% فنبرة الصوت قد تقول عكس ما يقوله الكلام، ثم يؤكد أن ٥٥% من عوامل نجاح اتصالك بالآخرين يتوقف على لغة جسمك وتعبيرات وجهك) [٢].

---

(١) كريم الشاذلي، الشخصية الساحرة، ص ٨٧، ٨٩، دار أجيال، ج١، سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧٢ .

فالداعية إلى الله عليه أن يعلم أن العيون ناقلات للمعاني والرسائل والمشاعر، فهي ليست عضواً نرى من خلاله الخارج فحسب، بل هي وسيلة لنقل ما بداخلنا، واستشفاف ما بداخل الآخرين.

يقول د/ التكريتي: (يتحادث الناس بعيونهم كما يتحادثون بألسنتهم، على أن حديث النواظر أفصح الحديثين، لأنه يدور في لغة عامة لا نحتاج في تعلمها إلى قاموس، وقد تجادل امرأً في شأنٍ فينكر عليك رأيه بلسانه وعيناه تعترفان به، وتدل العين على ما يقوله اللسان من خير أو شر قبل أن يتكلم) [١].

ولقد ذكر علماء النفس والاجتماع والتنمية البشرية بعض الأمور التي إن حرص الداعية عليها استطاع أن يؤثر في المدعو، وحمله على الاهتمام بكلامه، والانتباه لمواعظه، فقالوا:

(إذا أردت إيصال مرادك بعينك، فاحرص على الأمور التالية [٢]:

(١ . أن تكون عيناك مرتاحتين أثناء الكلام، مما يشعر الآخرين بالاطمئنان إليك والثقة في سلامة موقفك وصحة أفكارك.

٢ . لا تنظر بعيداً عن المتحدث، أو تثبت نظرك في السماء أو الأرض أثناء الحديث، لأن ذلك يشعر باللامباة بمن تتحدث معه، أو بعدم الاهتمام بالموضوع الذي تتحدث فيه.

٣ . لا تطيل التحديق بشكل محرج فيمن تتحدث معه.

٤ . احذر من كثرة الرمش بعينيك أثناء الحديث، لأن هذا يشعر بالقلق والاضطراب.

---

(١)،(٤) المرجع السابق، ص ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٧، بتصرف يسير .

٥ . ابتعد عن لبس النظارات القاتمة أثناء الحديث مع غيرك، لأن هذا يعيق بناء الثقة بينك وبينه.

٦ . احذر من النظرات الساخرة الباهتة إلى من يتحدث إليك أو تتحدث معه، لأن ذلك ينسف جسور التفاهم والثقة بينك وبينه، ولا يشجعه على الاستمرار في التواصل معك، (ورب نظرة أورثت حسرة).

٧ . حاذر أن تغمض عينيك لأكثر من ثانيتين، فهذا معناه أنك تريد أن تكون موجود في أي بقعة في العالم سوى هذا المكان.

٨ . إذا كنتم مجموعة فوزع نظرك على جميع الحضور، ولا تصوبه إلى شخص واحد فقط.

٩ . تأكد من أن نظراتك تحمل الدفء والود والمحبة والاهتمام والرعاية.

من خلال العينين تستطيع أن تكشف بعض ما يدور في ذهن محدثك، فمثلاً إذا اتسع بؤبؤ العين بشكل واضح فإنه يعني أنه سمع منك للتو خبراً سعيداً، أما إذا ضاق بشدة فالعكس صحيح، أما إذا ضاقت العينان فإنه يدل على سماع شيء غريب أو غير مصدق.

إذا رفع الشخص حاجباً واحداً، فهذا يعني أنك قلت له شيئاً يراه صعب الحدوث أو التصديق، أما إذا رفع الحاجبين فإنه يعني سماعه لمفاجأة).

تقول جين مارتينت [١] (إن أروع الجمل تصبح بلا قيمة حقيقية إذا خرجت منك وأنت تنظر إلى الأرض أو إلى أقدام من تتحدث إليه).

---

(١) جين مارتين مؤلفة أمريكية شهيرة، تعيش في مدينة نيويورك ستي، تختلط بالناس، وتخرج من لقائها مع الشخصيات الشهيرة كمضيفي الأحاديث التلفزيونية والشخصيات الإذاعية وكبار موظفي الدولة بالخبرات العملية في مجال التنمية البشرية، وكتبها من أشهر المبيعات في أمريكا، ومن أوائل ما تم نشره لها كتاب (فن الاختلاط بالناس) عام ١٩٩٢م . ينظر في ذلك: فن الاختلاط بالناس، جين مارتينت، الغلاف الخارجي، مكتبة جرير، ط/٢، سنة ٢٠٠٨م .

(إذا تعلمت كيف تستخدم عينيك جيداً فالأمر يساوي مليوناً من الدولارات، فالعديد من الناس يستميتون للحفاظ على استمرار المحادثة، ومع ذلك ينسون أن العين هي محور التواصل، فبعينك تستطيع اختيار شخص ما من بين مجموعة، بل وتعرفه أنك ترغب في الحديث إليه على انفراد، وبعينك مع إشارة لطيفة، يمكنك الإشارة إلى شيء ما في الغرفة حيث يمكنك استخدام تعبيرات العين بدلاً من الكلمات) [١].

هذه المبادئ الجميلة، والمقررات الحكيمة، والمجربات المؤثرة، التي دعا إليها علماء التنمية البشرية يتفق معها الإسلام ويدعو إليها ويبينها تبياناً حكيماً؛ فيقرر أولاً أن نظرة العين بما يُسَأل عنه العبد يوم القيامة، يقول تعالى: ژئوئۇئۇئۆئۆئۈئۈئېئېئىئىئېى ىيېژ [٢].

فالله يبين لنا أن الإنسان سيسأل عن سمعه وبصره وفؤاده، وسيحاسبه الله على ما يفعل من أفعال، ولاشك أن نظرات الاحتقار والازدراء والتكبر والاستعلاء سيسأل عنها الإنسان، كما أنه سيكرم بنظرات التواضع وخفض الجناح والمحبة والمودة والاحترام للآخرين والخوف والوجل من الله سبحانه وتعالى.

يقول ابن كثير . ~ .: (ژئدىى ىيېژ أي هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد ژى ىيېژ أي سيسأل العبد عنها يوم القيامة وتُسَأل عنه وعما عَمِلَ فيها) [٣] ومما لاشك فيه أن الداعية إن جدّد نيته أن تكون نظراته رسولاً من رسل التبليغ، وآية من آيات الإيضاح، يأخذ أجراً من الله على ذلك، ويوفقه الله إلى القبول؛ فعليه أن يحسن هذه الوسائل الطيبة المباركة التي وهبه الله إياها وأكرمه بها، وهذا يضيف إلى قوة تأثير العين في المستمع جانباً، آخر وهو طاعة الله سبحانه وتعالى.

(١) المرجع السابق، ص ٨٥، ٨٦، ٨٧ بتصرف يسير .

(٢) سورة الإسراء، الآية (٣٦) .

(٣) الإمام/ الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج٣ ص ٥٥، دار القلم، بدون .

ويقرر الإسلام كذلك أن نظرة العين تستنطق ما بداخل المدعو؛ فيتمكن الداعية من التعامل الحكيم معه، ويستطيع أن يبحث عن أفضل الطرق للتأثير فيه من ذلك ما حكاه لنا القرآن الكريم من قصة المعوقين والمثبطين لإخوانهم عن الجهاد؛ قال تعالى: ژچچچچڇڇڇڇڍڍڌڌڎڎڈژژڑڑکککگگگگڳڳڳڳڱڱڱڱںںڻڻڻڻۀۀہہھھ ےےۓۓڭڭڭڭ [1].

فالقرآن الكريم في هذه الآيات يبين صنفاً من الناس في حالات السلم، أقوياء، فخورين، متعاظمين، مختالين، وفي حالات الحرب والشدة بخلاء جبناء أذلاء، وعلامة هذا الذل والضعف والخور أعينهم التي تدور من الخوف كحالة الرجل المحدق به الموت.

يقول الشيخ/ سيد قطب . ~ .: (هي صورة شاخصة، واضحة الملامح، متحركة الجوارح وهي في الوقت ذاته مضحكة تثير السخرية من هذا الصنف الجبان الذي تنطق أوصاله وجوارحه في لحظة الخوف بالجبن المرتعش الخوار! وأشد إثارة للسخرية صورتهم بعد أن يذهب الخوف ويجئ الأمن، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد، فخرجوا من الجحور، وارتفعت أصواتهم بعد ارتعاش، وانتفخت أوداجهم بالعظمة، ونفشوا بعد الانزواء وادعوا في غير حياء ما شاء لهم الادعاء من البلاء في القتال والفضل في الأعمال، والشجاعة والاستبسال)[2].

ففي هذا الخبر القرآني الكريم تبين لنا أن نظرة العين أحد البراهين الدالة على حالة الإنسان في الأمن والخوف، وأن الخطأ كل الخطأ في عدم الاكتراث بهذه الأمور، وإهمالها، لأننا بذلك نضيع مهارة من مهارات الاتصال بالمدعو، وهذا ما لا ينبغي، لأنه ما من طريقة موصلة إلى شرح الصدور وفتح القلوب وإمتاع العقل إلا

(١) سورة الأحزاب، الآيتان (١٨، ١٩) .

(٢) الشيخ/ سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٥ ص ٢٨٤٠، دار الشروق، ط/٢٥، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

علينا الأخذ بها وتنميتها وتجليتها للآخرين.

والسنة النبوية راعت هذا الأمر..

فصاحبها ﷺ قام بذلك خير قيام . روى الطبراني بإسناد صحيح عن عمرو بن العاص ﷺ قال: ﴿ كان رسول الله ﷺ يقبل بوجهه وحديثه على شر القوم يتألفه بذلك، وكان يقبل بوجهه وحديثه عليّ حتى ظننت أنيّ خير القوم ﴾ (١).

فالنبي ﷺ في هذا الحديث يبعث برسالة إيمانية إلى المتحدثين والداعين أن ينتبهوا إلى نظراتهم الموجهة نحو المدعوين، وأن يحوطوا مستمعيهم بالعناية والاهتمام ودليل ذلك النظرة التي تعتبر بريد القلب.

وعلى المتحدث والداعية أن يراعي بنظره من يحدثه من المستمعين، ولا ينظر إليه شذراً واحتقاراً، فإن ذلك يوّلد التعصب والشحناء والبغضاء، وهذا يضر بالدعوة ولا ينفعها، زيادةً على ذلك أن احتقار المدعو والنظر إليه شذراً واحتقاراً وعدم الاهتمام به يدل على الجهل بسنة رسول الله ﷺ، وعدم الانقياد والانصياع له ﷺ.

يقول تعالى: ژڦڦڦڄڄڄڄڃڃڃڃچچچچڇ (٢).

وإذا كانت العين بريد القلب؛ فعلى الداعية إذا تعرض لبعض المواقف الموهنة لقوته؛ أن يُقَلب نظره إلى المحبين له المقتنعين بكلامه؛ حتى يتحول إلى الإطار الإيجابي ويستمر في موعظته بثبات وثقة؛ ثم يعاود الكرة مرة أخرى إلى المخالفين ليخاطبهم بالتي هي أحسن؛ فهو ينتقل بهذا التقليب لبصره من الخوف إلى الأمان، ومن فقد الثقة إلى قوة النفس ورباطة الجأش وهذا ما أكده أهل الخبرة والحكمة والتجربة في الإسلام حيث قالوا: (إن هناك مواقف يتعرض لها الخطيب قد توهن قوته، وتجعله

(١) الطبراني ، سند صحيح .

(٢) سورة آل عمران، الآية (٣١) .

يغيّر مجرى خطبته، أو يوجزها أو يحذف بعض عناصرها ولكن الخطيب الجرئ لا يتأثر بها، فقد يشرع الخطيب في حديثه وبعد إلقاء بعض فقراته يقوم من المجلس وربما من الصفوف الأمامية بعض الأشخاص ويخرجون، وقد يعرض عنه بعض السامعين فينظر في صحيفة أو كتاب، أو يتحدث إلى من بجانبه فهذا يوهن قوة الخطيب ويترك أثراً كبيراً من الفتور في صوته وإلقائه، ولكن ينفعه في هذه الحالة أن يولي وجهه إلى الآخرين، وألا يبدي أي اكتراث بما حدث، ومن نصائح الأقدمين (إنك لا تتعلم الخطابة حتى تتعلم القحة) والمراد بالقحة عدم المبالاة بأي شيء يكون معارضاً له، ويرجع ذلك إلى الجرأة وقوة الجنان) [1] والحكمة في ذلك هو تأثر القلب بالعين، فإذا خرجت العين من هذا الإطار السلبي إلى الإطار الإيجابي، تحول القلب من الخوف وفقد الثقة إلى الأمان، ورباطة الجأش.

(١) الخطابة وإعداد الخطيب، إصدار وزارة الأوقاف المصرية، ج ١ ص ٤٦، بدون .

المبحث الثالث

حركة الرأس

تتأثر نفس المستمع بحركة الرأس، وتنجذب لحركتها الحسنة، وتنفر من حركتها الخبيثة؛ فحركة الرأس عليها عامل كبير وقوي في التأثير في المستمعين؛ لأن أعينهم معقودة بها؛ وأفئدتهم متأثرة بصنيعها؛ فحركة الرأس الواثقة المتواضعة المنتبهة لجميع المستمعين تؤثر إيجابياً في المستمعين؛ بينما حركة الرأس المستهزأة، المتكبرة، المعرضة لا تؤثر التأثير المطلوب في المستمع؛ بل إنها قد تقيم حاجزاً نفسياً بين الداعي والمدعو؛ لذا يوصي علماء النفس والتنمية البشرية المتحدث؛ بالاهتمام بحركة رأسه، ورعاية شأنها حتى يكون لكلامه الأثر المطلوب، ووجهوه إلى بعض النصائح المفيدة في هذا الشأن: (تحدث ورأسك مرتفع إلى الأعلى؛لأن طأطأة الرأس أثناء الحديث يعطي انطباعاً بالهزيمة والضعف والخنوع، وبالنسبة للمتلقي؛ فإن طأطأة الرأس وقضب الجبين دلالة على تعكر مزاج المستمع أو سماعه لخبر سيئ، أما قضب الجبين ورفع الرأس فإنه يدل على الدهشة والحاجة إلى التوضيح) [1].

وهذه المعاني المستقاة من حركة الرأس يتفق عليها العقلاء من الناس؛ والخبراء في المجالات المتعددة؛ وهو ما يتفق معه الإسلام؛ فلقد أكد الإسلام على أن حركة الرأس عليها عامل نفسيٌ، فحركة الرأس المستهزأة تنفّر الآخرين من قبول الكلام، وتقيم حاجزاً نفسياً بين الداعية والمدعو، وحركة الرأس المعرضة توحي للمتسمع بعدم أهمية كلامه فلا يتم الحديث مع المتكلم، بل إن أتمه يتمه على مضضٍ وتحفرٍ وكرهٍ، وحركة الرأس المتكبر تلقي الكره والبغض في نفس المستمع فلا يرتاح للمتكلم، لأن النفس تأنف الحديث مع المتكبرين، لذا على الداعية أن ينتبه إلى حركة

(١) الشخصية الساحرة، ص ٢٧٤، ٢٧٧، مرجع سابق .

رأسه مع المدعوين، حتى لا يفسد في موضع يرجو فيه الإصلاح؛ لذا نجد القرآن الكريم ذم حركة الرأس المستهزأة التي تعبر عن عدم التقدير والاحترام؛ قال تعالى في شأن المنكرين للبعث: ﮋ □□□□ □□□□□□□□ ﭑﭒ ﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨ ﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﮊ [1].

في هذه الآيات المباركات يبين الله سبحانه وتعالى موقفاً من مواقف المشركين المنكرين للبعث والنشور، فهم ينكرون أن يحيي الله العظام وهي رميم، فتحداهم الله سبحانه وتعالى في عقيدتهم الفاسدة، وبين لهم أنهم إن كانوا عظاماً باليةً، أو حجارةً أو حديداً، أو أي شيء آخر فإن الله قادرٌ أن يعيدهم مرةً أخرى، لأن من أحيا من العدم، قادر على الإعادة من الوجود، فما كان منهم إلا أن استهزأوا بهذا الكلام، وهزوّا رؤوسهم أعلى وأسفل كنايةً عن الاستهزاء والاستخفاف، فوضح المولى تبارك وتعالى لهم أنهم سيقفون بين يديه ويحاسبهم على هذه الأفعال الشنيعة.

يقول ابن كثير . ~ .: (ﮋﭡﭢﭣﮊ أي من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر شديداً ﮋﭤﭥﭦﭧﭨﮊ أي الذي خلقكم ولم تكونوا شيئاً مذكوراً ثم صرتم بشراً تنتشرون فإنه قادرٌ على إعادتكم ولو صرتم إلى أي حال ﮋﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﮊ [2]، وقوله تعالى: ﮋﭩﭪ ﮊ قال ابن عباس وقتادة يحركونها استهزاء، وهذا الذي قالاه هو الذي تعرفه العرب من لغاتها، لأن الإنغاض هو التحرك من أسفل إلى أعلى أو من أعلى إلى أسفل، ومنه قيل للظليم وهو ولد النعامة نغضاً لأنه إذا مشى عجل بمشيته وحرك رأسه، ويقال نغضت سنه إذا تحركت وارتفعت من منبتها) [3].

- ونجد القرآن الكريم كذلك ذمّ حركة الرأس المتكبرة التي لا تأبه بالآخرين ولا

(١) سورة الإسراء، الآيات (٤٩ . ٥٢) .

(٢) سورة الروم، الآية (٢٧) .

(٣) تفسير ابن كثير، ج ٣ ص ٦٥، مرجع سابق .

بما يقولونه وتستعيض عن الرجوع إلى الحق بحركات الكبر والغرور والعجرفة، قال تعالى:ژ ﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔ ژ [1].

في هذه الآيات المباركات يبين الله صنفاً من الناس قتله الغرور والكبر فملأ جميع أركانه وأخذ يجادل في الله سبحانه وتعالى وليس معه دليل ولا برهان ولا آية، ويستعيض عن الحق والبرهان بحركات العجرفة والكبر والتي يمثلها ثني رقبته والتي يتبعها تغير حركة الرأس كبراً واستعلاءً، وهذا الصنف من الناس لا يكتفي بفساده، بل يُضّل الآخرين ويأخذ بأيديهم إلى طريق الشيطان، فهذا عاقبته الخزي في الدنيا والآخرة جراء ما صنعت يداه.

يقول ابن كثير: (ژ ﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵ ﭶﭷژ أي بلا عقل صحيح، ولا نقل صريح بل بمجرد الرأي والهوى، وقوله ژ ﭹﭺژ قال ابن عباس وغيره مستكبراً عن الحق إذا دُعِيَ إليه،وقال مجاهد وقتادة عن زيد بن أسلم ژ ﭹﭺژ أي لاوي عطفه وهو رقبته يعني يعرض عما يدعى إليه من الحق ويثني رقبته استكباراً) [2].

وفي بيان خطورة الرأس المعرضة عن الآخرين نجد لقمان الحكيم يوصي ابنه بالابتعاد عنها لأثرها السيئ في نفسية المخاطب؛ بين ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ژ ﯥﯦﯧﯨﯩ ژ [3].

فلقد وصىّ لقمان الحكيم ابنه بوصايا جليلة، لا تخرج إلا من أبٍ يخاف على ابنه، ومن هذه الوصايا قوله ژ ﯥﯦﯧﯨﯩ ژ أي (لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقاراً منك لهم، واستكباراً عليهم، ولكن ألن جانبك وابسط وجهك إليهم،

(١) سورة الحج، الآيات (٨ . ١٠) .

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٣ ص ٢٨١، مرجع سابق .

(٣) سورة لقمان، الآية (٥) .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ژئىئېئىئىژ يقول لا تتكبر فتحقر عباداً، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك، وقال مالك عن زيد بن أسلم ژئىئېئىئىژ لا تتكلم وأنت معرض، وقال ابن جرير وأصل الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها حتى تلفت أعناقها عن رؤوسها فشبه به الرجل المتكبر) [1].

فسيدنا لقمان الحكيم يعلم أن حركة الرأس المعرضة تنفّر الناس من صاحبها، وتبعدهم عنه، لذا يوصي ابنه أن يبتعد عن هذه الحركة للجسد التي تنفّر الآخرين منه، وهي رسالة مهمة للدعاة والمتحدثين عليهم أن يفهموها، ويعوها.

- وفي بيان حركة الرأس الذليلة الخجلة يقول تعالى مبيناً حال المجرمين يوم القيامة: ژٱٻٻٻٻپپپپڀڀڀڀٺٺٺٺژ [2].

فهذه الآية الكريمة تبين حال المجرمين الذين عاينوا البعث والحساب والجزاء فوجدوا سوء صنيعهم، وخبث فعلهم، وتمنوا أن يرجعوا مرة أخرى إلى الدنيا للعمل الصالح ولكن هيهات هيهات! فنكسوا على رؤوسهم خاشعين أذلاء خائفين خانعين؛ وصورّ القرآن مشهدهم هذا بحركة رأسهم التي تعبر عن الذل والهوان والخضوع والإنكار ومن خلال ذلك يجب على المتحدث الناجح والداعية الحصيف يجب أن تكون حركة رأسه فيها الثقة بالله مع التواضع، وشموخ العلماء مع الخشية لله، لأن حركة الرأس الذليلة الخانعة تضعف ثقة الآخرين به.

- ونظيره قوله تعالى في شأن المنافين:ژٱٻٻٻٻپپپپڀڀڀڀٺٺٺٺژ [3].

فهذه الآية تبين أن المنافقين ينافقون ويداهنون ويوارون، يظهرون خلاف ما يبطنون،ويقولون ما لا يعلمون، وإذا دعوا إلى الحق والفضيلة وحركوا رؤوسهم يميناً

(١) تفسير ابن كثير، ج ٣ ص ٥٨٢ بتصرف يسير، مرجع سابق .

(٢) سورة السجدة، الآية (١٢) .

(٣) سورة المنافقون، الآية (٥) .

وشمالاً، وأعلى وأسفل إعراضاً واستكباراً، فحركة رأسهم دالّة على الإعراض والاستهزاء والاستخفاف، وكل من يراها ويتأمل فيها يعرف معناها، ويعرف ما تنطوي عليه النفس الخبيثة المحركة لها.

يقول ابن كثير . ~ .: (يقول الله تعالى مخبراً عن المنافقين عليهم لعائن الله أنهم ژٱٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ أي صدوا وأعرضوا عما قيل لهم استكباراً عن ذلك واحتقاراً لما قيل ولهذا قال تعالى: ژ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ.. ثم بين ابن كثير حركة ليّ الرأس في الآية الكريمة فقال: (حول سفيان وجهه على يمينه ونظر بعينه شذراً ثم قال هو هذا)، وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل في عبد الله ابن سلول)[1].

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والعبرة هنا هي أنه يجب على الدعاة والمتكلمين أن ينتبهوا إلى حركة رأسهم في الحديث، حتى تكون لدعوتهم القبول التام بأمر الله تعالى.

مما سبق يتبين لنا أن الإسلام يتفق مع دراسات التنمية البشرية في وجوب الاهتمام بحركة الرأس لأثرها في نفسية المستمع.

(١) تفسير ابن كثير، ج ٤ ص ٤٧٨ بتصرف يسير، مرجع سابق .

المبحث الرابع

تعـبيرات الوجـــه

من أهم مفردات لغة الجسد (تعبيرات الوجه) لأن الوجه مرآة لما يختلج في صدر الإنسان، فإذا كان الإنسان حزيناً مهموماً ظَهَرَ ذلك على وجهه، وإن كان الإنسان فرحاً سعيداً باشّاً ظهر ذلك على وجهه، فالوجه صفحة يكتب عليها عبارات المشاعر القلبية.

ولقد أكد علماء النفس والتنمية البشرية وكبار الخطباء والمتحدثون على أن المتحدث الناجح والداعية الحاذق هو الذي يتفاعل مع الجمهور ومع الكلمات والأحداث، ويظهر ذلك التفاعل على قسمات وجهه، فإن كان الموقف فرحاً ظهرت على وجهه البشاشة والسعادة، وإن كان الموقف حزناً ظهر على وجهه الحزن والأسى والصبر والرضا، وإن كان الموقف حماسياً ظهرت على صفحات وجهه علامات الصمود والإقدام والشجاعة، وإن كان الموقف مزاحاً . ولا يكون إلا حقاً . ظهرت على قسمات وجهه الليونة والسعادة والحبور، وهكذا كل موقف من مواقف الحياة يظهر على صفحات وجه الداعية تعبيرات واضحة يقرأها كل من يراها.

وأهمية هذا الأمر ترجع إلى أن عين المدعو متعلقة بالداعي تتأثر به، والمشاعر بريد القبول، فالداعي الذي يعيش مع مدعويه ويشاطرهم الأفراح والأحزان والمواقف العديدة، ويظهر ذلك على وجهه هو داعيةٌ بحق؛ فهم من أمور وقواعد الدعوة ما يمكنه من القبول والإقناع.

وعلى الوجه الآخر، الداعية والمتحدث الذي يظهر على وجهه الوجوم في حالات تقرير الحقائق، والحزن في حالات الفرح، والفرح في حالات الحزن هو داعية يستخف بالمدعوين، ويجرأهم عليه، وينفرهم منه، ويكون كالحي الأشبه بالميت.

هذه الحقيقة يتفق عليها العقلاء والحكماء من كل حدب وصوب، لأن المشاعر الإنسانية قسمات مشتركة بين الناس، وتأتي الأديان لضبط هذه القسمات بما يتفق مع مبادئها، فليتنبه المتحدث إلى تعبيرات وجهه، وليكبح جماح نفسه وليهذبها حتى يؤثر في الآخرين.

يقول د/ أحمد محمد الحوفي . أحد خبراء وعلماء فن الخطابة: (الوجه كله معبر عن الانفعالات بما يترسم على صفحته من خطوط وأشكال، فارتفاع خطوط الجبهة قليلاً يمثل الانتباه، وارتفاعها كثيراً يرسم الدهشة أو الفرح العظيم أو الألم الأليم، وانخفاضها يدل على القلق والتفكير) [١].

والإسلام يقرّ هذه الحقيقة، فالقرآن الكريم في معرض ذكره عن أهل الإيمان، يبيّن أن ما في قلوبهم يظهر على قسمات وجوههم، يقول تعالى: ژٱٻٻٻٻپپپپڀڀڀڀٺٺٺٺٿٿٿٿٹٹٹٹڤڤڤڤڦڦڦڦڄڄڄڄڃڃڃڃچچچچڇڇڇڇڈډډڈژژڑڑ [٢].

يقول سيد قطب . ~ .:(ژٹٹڈڈڤڤژ سيماهم في وجوههم من الوضاءة والإشراق والصفاء والشفافية ومن ذبول العبادة الحي الوضئ اللطيف.

ثم يستطرد قائلاً: ژٹڤڤژ فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة، واختار لفظ السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله في أكمل صورها، فهو أثر هذا الخشوع أثره في ملامح الوجه حيث تتوارى الخيلاء والكبرياء والفراهة ويحل مكانها التواضع النبيل، والشفافية الصافية، والوضاءة الهادية والذبول الخفيف الذي يزيد وجه المؤمن وضاءة وصباحة ونبلاً) [٣].

وفي وصفٍ آخر لما يظهر على الوجه من خبايا القلب نجد الله سبحانه

(١) د/ أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص ٢٧، نهضة مصر، ط/ سنة ١٩٩٨م .

(٢) سورة الفتح، الآية (٢٩) .

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٦ ص ٣٣٣٢ بتصرف يسير .

وتعالى يبين في حديثه عن أهل الطغيان والفساد أنهم عند سماعهم لآيات الله البينات يغضبون وينفعلون ويكشرون عن أنيابهم ويهمون بأهل الإيمان لكي يلحقوا بهم الأذى، ويظهر هذا التحفز على وجوههم، يقول تعالى: ژئائەئوئوئۇئۆئۈئۈ ئېئېئىئىئيبجبحبخبمبىبيتجتحتختمتىتيثجثحثختمسحسخسمژ [1].

ويوضح الإمام الرازي هذه الآية فيقول: (فبين . تعالى . أنهم مع جهلهم إذا نبهوا على الأدلة وعرضت عليهم المعجزة ظهر في وجوههم المنكر، والمراد دلالة الغضب والغيظ، قال صاحب "الكشاف" المنكر الفظيع من التهجم والفجور والنشوز والإنكار كالمكرم بمعنى الإكرام... وللمفسرين في المنكر عبارات أحدها: قال الكلبي: تعرف في وجوههم الكراهية للقرآن، ثانيها: قال ابن عباس ﷺ: التجبر والترفع، وثالثها: قال مقاتل: أنكروا أن يكون من الله، أما قوله تعالى ژئېژ المعنى يهمون بالبطش والوثوب تعظيماً لإنكار ما خوطبوا به فحكي تعالى عظيم تمردهم على الأنبياء والمؤمنين) [2].

وفي وصفٍ آخر لما يظهر على قسمات الوجه من مكنونات النفس نجد الله سبحانه وتعالى يصف وجوه المؤمنين يوم القيامة بالنضرة والبشاشة، يقول تعالى: ژپپپپڀڀڀڀٺٺٺٺژ [3].

(إن هذا النص ليشير إشارة سريعة إلى حالة تعجز الكلمات عن تصويرها، كما يعجز الإدراك عن تصورها بكل حقيقتها ذلك حين يعد الموعودين بحالة من السعادة لا يشبهها حالة حتى لتتضاءل إلى جوارها الجنة بكل ما فيها من ألوان

(١) سورة الحج، الآية (٧٢) .

(٢) تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، المشتهر بخطيب الري، ج ١٢ ص ٦٧، ٦٨، دار الفكر، ط/١، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

(٣) سورة القيامة، الآيتان (٢٢، ٢٣) .

النعيم، هذه الوجوه الناضرة.. نضرها أنها إلى ربها ناظرة.. إلى ربها!، فأي مستوى من الرفعة هذا. أو أي مستوى من السعادة؟! إن روح الإنسان لتستمتع أحياناً بلمحة من جمال الإبداع الإلهي في الكون أو النفس، تراها في الليلة القمراء أو الليل الساجي، أو الفجر الوليد، أو الظل المديد أو البحر العباب، أو الصحراء المنسابة، أو الروض البهيج أو الطلعة البهية... إلى آخر مطالع الجمال في هذا الوجود فتغمرها النشوة وتفيض بالسعادة.. فكيف؟ كيف بها وهي تنظر لا إلى جمال صنع الله ولكن إلى جمال ذات الله؟ وما لها لا تنضر وهي إلى جمال ربها تنظر.

إن الإنسان لينظر إلى شيء من صنع الله في الأرض من طلعة بهية، أو زهرة ندية أو جناح رفاف أو روح نبيل أو فعل جميل فإذا السعادة تفيض من قلبه على ملامحه فيبدو فيها الوضاءة والنضارة، فكيف بها حين تنظر إلى جمال الكمال مطلقاً من كل ما في الوجود من شواغل عن السعادة بالجمال!) [1].

وفي المقابل يعرض لنا القرآن حال الظالمين الضالين بقوله: ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ژ [2] فهذه الوجوه يظهر على ملامحها الكدر والهم والغم لخوفها مما يفعل الله بها.

يقول سيد قطب . ~ .: (هي الوجوه الكالحة المنقبضة التعيسة، المحجوبة عن النظر والتطلع بخطاياها وارتكاسها وكثافتها وانطماسها وهي التي يشغلها ويحزنها ويخلع عليها البسر والكلوحة توقعها أن تحل بها الكارثة القاصمة للظهر المحطمة للفقار) [3].

فالقرآن الكريم لا يترك هذه المشاعر إلا ويبينها، لأثرها في نفوس الناس، وليبين أنه من عند الله . سبحانه وتعالى . الذي خلق الإنسان وسواه، ويعلم خلجات نفسه، ومكنوناته ژ ٻ ٻ

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٦ ص ٣٧٧٠، ٣٧٧١، دار الشروق، ط/٧، سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .
(٢) سورة القيامة، الآيتان (٢٤، ٢٥) .
(١) في ظلال القرآن، ج ٦ ص ٣٧٧٢، مرجع سابق .

ﭨﭩﭪﭫﭬ [1].

ومعلم الإنسانية الخير الرسول ﷺ كان يطبق هذا الأمر ويظهره، ففي حالات الفرح يفرح، وفي حالة الحزن يحزن، وفي حالات الخشوع يخشع، وفي حالة الصبر يصبر، وفي حالة الصمود والتحمل يصمد، فكان بحقٍ ﷺ مثالاً واقعياً، وأنموذجاً يحتذي به في نقل الصورة من داخله على وجهه، ليعيش مع الناس ويتعايش معهم، ويؤثر فيهم عن طريق هذه المفردة من لغة الجسد. وأكبر دليل على ذلك، ما ذكره لنا سيدنا سعيد الخدري الذي عايش رسول الله ﷺ وصحبه وتعلم منه، حيث ذكر لنا أن الصحابة كانوا يرون في وجه رسول الله ﷺ ما يُعّبر عن مزاجه وحاله لاسيما حالات الغضب والكره لأمرٍ لا يتفق مع مبادئ الإسلام.

عن أبي سعيد الخدري قال: ﴿ كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من عذراء في خدرها وكان إذا كره شيئاً رأيناه في وجهه ﴾ [2].

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ﷺ أن النبي ﷺ ﴿ كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأله عن اسمه؟ فإذا أعجبه اسمه فرح به ورُؤِيَ بِشْرُ ذلك في وجهه، وإن كره اسمه رُؤِيَ ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها فإن أعجبه اسمها فرح بها ورؤي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمها رؤي كراهية ذلك في وجهه ﴾ [3]، ﴿ وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه ﴾ [4].

---

(١) سورة الملك، الآية (١٤) .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب: الفضائل، باب: كثرة حيائه ﷺ، ج ١٥ ص ٧٨، دار الفكر، ط/٣، سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

(٣) مختصر سنن أبي داود، كتاب: الطب، باب: الطيرة، حديث رقم: ٣٧٦٦، ج ٥ ص ٣٧٩ .

(٤) صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: صفة البني، ج ٦ ص ٣٠ .

المبحث الخامس

الثغر البسام (الابتسامة الجذابة)

ترجع أهمية هذا التعبير الوجهي كأحد صفات اللغة الناجحة للجسد، في قوة التأثير في المتلقي والمستمع، فكثيراً ما نسمع من المستمعين أن ذلك المتحدث أو الخطيب أو المتكلم لا يبتسم أبداً، وتعلوه الكآبة، ودائماً ما يقطب جبينه، ونحن لا نحب ذلك الشكل، بل ليته يبتسم! يضحك! حتى نتأثر بكلامه؟!

هذا الواقع المرير لبعض الدعاة في حديثهم مع الناس يرفضه كل عاقل، وكل واعي، لأن الابتسامة مفتاح القلوب فقد يكون الفرق بين كلمة هينة وكلمة قاسية أن الأولى يصاحبها ابتسامة والثانية جافة لا بسمة فيها.

(فالابتسامة كالسنارة ما إن يراها القلب حتى يعلق بها، ولقد حدث وأن طالب عمال أحد المحلات في باريس زيادة مرتباتهم فرفض صاحب المحل، فما كان من عماله إلا أن لجأوا إلى حيلة بسيطة وهي التكشير وعدم الابتسام في وجه الزبائن ولقد أدى ذلك إلى انخفاض معدل البيع في الأسبوع الأول لنسبة تصل إلى ٦٠% عن مستوى دخله في الأسابيع السابقة. فما الذي حدث؟؟ فقط التكشيرة أصابت زبائن المحل بعدم الراحة، ومن ثمّ لم يجدوا لديهم الرغبة في الشراء، والسبب ابتسامة!!) [١].

إذا كان هذا في البيع والشراء فما بال الذين يوجهّون الناس إلى الخير، ويقودوا المجتمعات إلى الرشد، عليهم أن يعتبروا بمثل هذا الأمر، ويضعوه نصب أعينهم.

ولقد أكدت خبرات وتجارب علماء النفس والاجتماع والتنمية البشرية هذه الابتسامة في التأثير في الآخرين:

---

(١) الشخصية الساحرة، ص ١٢٦ .

يقول يدل كارنجي عن الابتسامة: (إنها لا تكلف شيئاً، ولكنها تعود بالخير الكثير، إنها تغني أولئك الذين يأخذون، ولا تفقر أولئك الذين يمنحون، إنها لا تستغرق أكثر من لمح البصر، لكن ذكراها تبقى إلى آخر العمر، إنها راحة للتعب، وشعاع الأمل البائس، وأجمل العزاء للمحزون).

ويقول د/ ماك كونيل عالم النفس الأمريكي: (إن الأشخاص الذين يبتسمون غالباً ما يربون أطفال سعداء، والابتسام يحمل المعاني أكثر مما يحمله التجهم، وهذا ما يجعل التشجيع وسيلة تعليمية ذات فاعلية أكبر بكثير من العقاب).

وفي المثل الصيني شخص لا يبتسم لا يصح أن يفتح متجراً!!

والابتسامة لها فوائد طيبة على المبتسم: (أثبت د. لي بيرل في دراسة علمية قام بها أن المرح يؤدي إلى تكاثر خلوي تلقائي للكريات الليمفاوية في جسم الإنسان مما يفضي إلى تكوين عدد أوفر من خلايا "Tells" والتي تعتبر مقوماً هاماً في الجهاز المناعي للإنسان.

إن الابتسامة الواحدة تعادل الجري مسافة ٧كيلومترات وتخلص الجسم من التوتر والقلق والضيق..

الابتسامة تخفف ألم المريض (٣٠%) [١].

بالإضافة إلى أن المتحدث الذي يملك البسمة الجذابة يؤثر في الآخرين،ويشعرون له بالارتياح والوّد.

يقول د/ إبراهيم الفقي: (الابتسامة التي ترسم على شفاه الواحد منا قادرة على فعل المستحيل، قادرة على تذليل العقبات، وكسر الحدة، وإذابة جليد المشاعر المتبلدة،

(١) الشخصية الساحرة، ص ١٢٧، ١٢٨ .

إن للابتسامة في كسب القلوب لتأثيرٌ وفائدة كبيرة فلا تغفلها أبداً) [1].

وإذا كان هذا رأي علماء التنمية البشرية، فإن الإسلام يقرّه ويعتبره ويدعو إليه، ويعتبر التبسم من الصدقة التي يؤجر صاحبها عليها، فعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الردئ البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة ﴾ [2].

والإسلام كذلك ينظر إلى التبسم على أنه من المعروف الذي ينبغي للمسلم أن لا يستقله ولا يحتقره، ففضل التبسم عظيم وأجره جزيل، فعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق ﴾ [3].

فالإسلام يؤيد التبسم وبشاشة الوجه، باعتباره دين الفطرة، (فلا يتصور منه أن يصادر نزوع الإنسان الفطري إلى الضحك والانبساط، بل هو على العكس يرحب بكل ما يجعل الحياة باسمةً طيبةً، ويحب للمسلم أن تكون شخصيته متفائلة باشة، ويكره الشخصية المكتئبة المتطيرة، التي لا تنظر إلى الحياة والناس إلا من خلال منظار قاتم أسود، وأسوة المسلمين في ذلك هو رسول الله ﷺ فقد كان . برغم همومه الكثيرة والمتنوعة . يمزح ولا يقول إلا حقاً، ويحيا مع أصحابه حياة فطرية عادية، يشاركهم في ضحكهم ولعبهم ومزاحهم، كما يشاركهم آلامهم وأحزانهم ومصائبهم).

(١) د/ إبراهيم الفقي، سحر القيادة، ص ٧، دار أجيالي للطباعة، ط/١، سنة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨٩م .

(٢) سنن الترمذي، وهو الجامع الصحيح، باب: ما جاء في صنائع المعروف، حديث رقم: ٢٠٢٢، ج ٣ ص ٢٨، وهو حديث صحيح، مكتبة الرياض الحديثة، ط/١، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

(٣) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، ٤/ ٢٠٢٦، رقم(١٤٤) ٢٦٢٦.

ولقد وجدنا أصحابه ﷺ يصفونه بقولهم (كان من أفكه الناس) [١].

والإسلام دين الفطرة لا يكتفي عند هذا الحد بل إنه يقوم بضبط الضحك والانبساط، حتى يتفق مع الفطرة التي خلق الناس عليها، فيضع بعض القيود والشروط التي تضمن أن يكون في اتجاهه الصحيح، وهذه الشروط منها [٢]:

١ . أن لا يكون الكذب والاختلاق أداة الإضحاك للناس ولهذا قال ﷺ: ﴿ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك القوم، ويلٌ له ويلٌ له ويلٌ له ﴾ [٣].

٢ . ألا يشتمل على تحقير لإنسان آخر أو استهزاء به وسخرية منه، يقول تعالى: ژ ﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁ□□□□□□□□□□□□□□□□ □□ژ [٤].

وفي الحديث الصحيح: ﴿بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم﴾ [٥].

وذكرت عائشة أمام البني ﷺ إحدى ضرائرها فوصفتها بالقصر، فنهاها النبي ﷺ عن ذلك وبيّن أن ذلك لا يرضي الله سبحانه وتعالى.

عن عائشة قالت: ﴿ حَكَيْتُ للنبي ﷺ رجلاً فقال: ما يَسُرُّني أني حكيت رجلاً وإن لي كذا وكذا، قالت فقلت: يا رسول الله إن صفية امرأةٌ وقالت بيدها هكذا كأنها

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للعلامة علاء الدين المتقى الهندي البرهان، ج ٧ ص ١٤٠، رقم الحديث: ١٨٤٠٠، مؤسسة الرسالة، ط/١، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

(٢) د/ يوسف القرضاوي، فتاوى معاصرة، ج ٢ ص ٤٤٦ ٤٥٧ بتصرف، ط/١، سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

(٣) سنن الترمذي، كتاب: الزهد، باب: فيمن تكلم بكلمة ليضحك بها الناس، ج ٤ ص ٥٥٧، رقم الحديث: ٢٣١٤، وقال حديث حسن، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط/١، سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦٠م .

(٤) سورة الحجرات، الآية (١١) .

(٥) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وماله وعرضه، رقم الحديث: ٢٥٦٤، ج ٤ ص ٢٩٢، دار الحديث، ط/ سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

تعني قصيرة، فقال: لقد مَزَحْتِ بكلمةٍ لو مُزِجَ بها ماء البحر لمزج ﴾ [١].

ولا يخفى على ذي نظر أن المحاكاة والسخرية ينتج عنها ضحكاً ومزاحاً.

٣ . ألا يهزل في موضع الجد ولا يضحك في مجال يستوجب البكاء، فلكل شيء أوانه، ولكل أمرٍ مكانه، ولكل مقام مقال، والحكمة وضع الشيء في موضعه المناسب.

ومن هنا نجد القرآن الكريم عاب على المشركين أنهم كانوا يضحكون عند سماع القرآن، وكان أولى بهم أن يبكوا، قال تعالى: ژگگگںںڻڻۀۀژ [٢].

وعاب الله على المنافقين فرحهم وضحكهم لتخلفهم عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وافتعالهم الأعذار الكاذبة للقعود مع الخوالف، فقال تعالى: ژڤڤڦڦڄڄڄڄڃڃڃڃچچچچڇڇڇڇڍڍڌڌڎڎڑڑژژکککگگژ [٣].

٤ . أن يكون ذلك بقدر معقول، وفي حدود الاعتدال والتوازن الذي تقبله الفطرة السلمية، ويرضاه العقل الرشيد، ويلائم المجتمع الإيجابي العامل، والإسلام يكره الغلو والإسراف في كل شيء ولو في العبادة فكيف بالضحك والمرح؟!ولذلك كان التوجيه النبوي ﴿ لا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب ﴾ [٤].

فالمنهي عنه هو الإكثار والمبالغة، والمبالغة هي التي يخشى من ورائها الإلهاء عن الأعباء أو تُجرِّئ السفهاء أو إغضاب الأصدقاء لذا نجد سعيد بن العاص يوصي ابنه بقوله: (اقتصد في مزاحك فالإفراط فيه يذهب البهاء ويجرئ عليك

(١) سنن الترمذي، أبواب: صفة يوم القيامة، حديث رقم: ٦٢٤، ج ٤ ص ٧٢، وقال حديث حسن صحيح .
(٢) سورة النجم، الآيات (٥٩ . ٦١) .
(٣) سورة التوبة، الآيتان (٨١، ٨٢) .
(٤) سنن الترمذي، كتاب: الزهد، باب: من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، ج ٤ ص ٥٥١، رقم الحديث: ٢٣٠٥، وقال حديث غريب .

السفهاء، وتركه يقبض المؤانسين ويوحش المخالطين) [1].

فخير الأمور الوسط وهو منهج الإسلام وخصيصته الكبرى ومناط فضل أمته على غيرهم.

وقد نجد في حياتنا بعض المتشددين لا يرى أحدهم إلا مقطب الجبين، عبوس الوجه، متجهماً عند اللقاء، خشناً في الكلام، فظاً في المعاملة مع الناس وخصوصاً مع غير المتدينين، فهذا الفعل لا يرجع إلى الإسلام بل يرجع إلى سوء فهمهم للإسلام أو لطبيعتهم الشخصية أو لظروف نشأتهم وتربيتهم، فلا يُحَّمل الإسلام سلوك فرد أو جماعة من الناس يخطئون ويصيبون، والإسلام حجة عليهم وليسوا هم حجة على الإسلام إنما يؤخذ الإسلام من القرآن والسنة الثابتة.

وهذا يحتم علينا أن نفهم النصوص التي تدعو إلى الحزن والاكتئاب والتجهم حتى لا نسئ فهمها وتخرجها عن الإطار الذي أريد بها.

فقوله تعالى على لسان قوم قارون له ناصحين: ژۋووۋۇۆۆېېژ [2] لا يفهم منه ذم الفرح وما ينتج عنه من التبسم والضحك، بل المراد هنا كما يدل عليه السياق هو فرح الأشر والبطر والغرور والانتفاخ الذي ينسي صاحبه فضل الله عليه وينسب كل فضل إلى نفسه فهو فرح بغير الحق كذلك. الذي ذم به القرآن المشركين حين قال لهم بعد دخولهم النار ژۋۇۆۆېېىئائەژ [3].

وقوله ﷺ: ﴿ لا تكثر من الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب ﴾ [4] فالحديث واضح الدلالة على أن المنهي عنه ليس مجرد الضحك بل كثرته، وكل شيء

(١) فتاوى معاصرة، ص ٤٥٧ .
(٢) سورة القصص، الآية (٧٦) .
(٣) سورة غافر، الآية (٧٥) .
(٤) سبق تخريجه ص ٢٨ .

خرج عن حده انقلب إلى ضده.

المبحث السادس

الوقفـــة

من أهم معالم (لغة الجسد) الوقفة التي يقفها المتحدث أو الداعي أو الخطيب، لأنه بهذه الوقفة يدفع المستمعين إلى الانتباه له أو النفور منه، فإذا كانت الوقفة سليمة وكلها ثقة، ووقار واحترام للآخرين، كان ذلك دافعاً ومؤثراً في المستمعين، وإذا كانت الوقفة غير ذلك بأن خالطها الاستخفاف أو الاستهزاء أو الميوعة أو الغطرسة، كان الأثر سلبياً على المدعوين والمستمعين.

وهذه بعض الوصايا في الوقفة لكي تكون مؤثرة:

(١ . أن يكون ثابت الجنان متمالك الأعصاب.

٢ . أن يكون في وقفته مستقيم الجسم بلا انحناء أو تقوس.

٣ . الطبيعة في الوقفة وعدم التصنع.

٤ . تناسب الحركات مع الكلمات.

٥ . عدم الالتفات بكثرة.

٦ . توافق حركات الوجه وتعبيرات العين.

٧ . تجنب بعض العادات المستهجنة في وقفته مثل وضع اليد على الخاصرة، وكثرة الحركة بلا سبب) [١].

ومن شدة الاهتمام بأثر تلك الوقفة في نفوس المستمعين، نجد الأوائل اعتنوا

(١) ينظر في ذلك: فن الخطابة، ص ٢٦، ٢٧، مرجع سابق، ورسالة ماجستير بعنوان (أعمال ديل كارينجي المتعلقة بتكوين الشخصية الإيجابية) للباحث/ عادل هندي، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، قسم الثقافة، ص ٣٣٣، تحت إشراف: المؤلف .

بها،وأولوها أهمية تُذكر.

فكانوا يبرزون على أماكن مرتفعة، ويعتمدون على بعض الأشياء، حتى تزداد تلك الوقفة جمالاً وبهاءً وتأثيراً في المستمعين (فالخطيب الروماني كان يعتلي نشزاً . مكاناً مرتفعاً . والخطيب العربي كان يقف على شَرف في الأرض أو على ظهر دابة، وكان يفخم منظره بلبس عمامة،والاعتماد على عصا أو مخصرة، أو يعتمد على قوس أو رمح، والعالم اليوم درج خطباؤه على اتخاذ المنابر أو المناضد العالية، فيقف الخطيب على مرتفع وأمامه نضد، والخطباء الحديثو العهد بالخطابة يؤثرون ذلك لأنهم يتوهمون أن النضد يفصلهم من الجمهور الذي يتهيبونه، ولكن الخطباء المدربين يتبرمون بهذه الوقفة، لأنها تغل حركتهم وتحبسهم في مكان ضيق) [١].

والوقفة هذه لها أشكال متعددة، (فالوقفة المعتدلة الناهضة تدل على التحدي، والوقفة المنحية تدل على الحنان والشفقة والاستسلام، وانطلاق الذراع إلى الأمام ينبئ عن التقدم وعن التهديد) [٢].

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه في موضع الوقفة هنا؛ هل الانحناء للمستمعين كتحية لهم وترحيباً بهم مقبول في (لغة الجسد) أم لا؟

في الدراسات الخاصة بالعلماء الغربيين نجد أن الانحناء هو أحد مفردات لغة الجسد ومن الأشياء المطلوبة في التواصل والتأثير في الآخرين، بل إنهم قسَّموا الانحناء إلى عدة انحناءات تبعاً للغرض المطلوب منها، وفي هذا دليلٌ واضح على أنه أمرٌ مقبول عندهم، وعادة حسنة يقبلون عليها.

تقول جين مارتينت: (يُعَّدُ الانحناء أداة صامتة رائعة بحق تجعلك تبدو أنيقاً،

(١) فن الخطابة، ص ٢٦، ٢٧ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧ .

مرحاً، ومؤثراً سواء للمرأة أو الرجل) [1].

ثم تستطرد في أشكال الانحناءات ومعانيها قائلةً: (ويمكن للانحناء أن يُعبّر عن أشياء كثيرة، وأقترح أن تقوم على الأقل بواحدةٍ من الانحناءات التالية:

. انحناءة (أهلاً): انحناءة صغيرة وودودة، وتكون بالانحناء إلى الأمام بقدر يسير بدءاً من منطقة الوسط، على أن تظل محتفظاً بالتواصل بالعين، وابتسامة صادقة على شفتيك.

. انحناءة (نعم): انحناءة متوسطة . صغيرة سواء بالرأس أو بالجزء العلوي من الجسد، والعينان مغمضتان، والابتسامة اختيارية.

. (علامة الترقيم) انحناءة مسرحية كاملة من الوسط بيد فوق المعدة، والأخرى فوق الظهر، بينما تميل الرأس قليلاً إلى الجانب، فلتظل في وضع الانحناءة لثانية أو اثنين قبل أن تعود إلى وضع الاعتدال.

. انحناءة (الستار): انحناءة عميقة بكامل الجسد، مع مد الذراعين في حركة مسرحية بعينين مفتوحتين أو مغمضتين، ومعناها، مع السلامة وتشرفت بالحديث إليكم.

. انحناءة السخرية: دُقّ بكعبيك معاً بشدة، وانتصب في وضع الانتباه، ثم انحن تماماً وبسرعة في شكل عسكري مسرحي ساخر، بلا ابتسامة على الإطلاق)[2].

فالانحناء يعتبر أحد مفردات "لغة الجسد" عند هؤلاء؛ وأحد المؤثرات في المخاطبين عندهم؛ إلا أن الأمر يختلف في الإسلام عن ذلك؛ لوجود النصوص المانعة له؛ فعن أنس بن مالك ﷺ قال: ﴿ قال رجلٌ يا رسول الله الرجل منا يلقاه أخوه

(١) فن الاختلاط بالناس، ص ١٤٤ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٤ .

أو صديقه أينحني له؟ قال: لا، قال أفيلتزمه ويقبله؟ قال: لا، أفيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: نعم ﴾ [١].

ويقول الشيخ/ حسن أيوب . ~ .: (وقد أجاز بعض العلماء الانحناء والرد عليهم ما سبق فالراجح أنه مكروه) [٢].

وفي الحديث إشارة إلى كراهية الالتزام والتقبيل، ولكن ليس هذا عاماً بل يجوز في حالات كثيرة مثل السفر، والغربة بدليل ما رواه ابن شيبة (أن جعفر قدم على النبي يوم فتح خيبر فقال لا أدري بأيهما أنا أفرح بقدوم جعفر أو بفتح خيبر، ثم تلقاه فالتزمه وقبل ما بين عينيه) [٣].

ومما يجب أن يُعَلم أن العلماء الغربيين عندما يدعون إلى الانحناء، ربما لأنه وصل إليهم بطريقٍ ما أن السجود كان مباحاً في شريعة الأنبياء قبل رسول الله ﷺ، ويؤكده قول الله تعالى: ژکک کژ [٤].

والانحناء أحد معاني السجود كما قال الزمخشري في تفسيره، إلاّ أن هذا الأمر إن كان مباحاً في شريعة السابقين، فإنه محرم في شريعة سيد المرسلين ﷺ، لورود النهي عن ذلك، يقول ﷺ ﴿ لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ، لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعله لهم عليهن من الحق ﴾ [٥].

---

(١) سنن الترمذي، كتاب: الاستئذان، باب: ما جاء في المصافحة، حديث رقم: ٢٧٢٨، ج ٥ ص ٧٥، دار الحديث، بدون، وقال عنه: حديث حسن .

(٢) الشيخ/ حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ص ٣٥، ٣٦، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط/١، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

(٣) المصنف في الأحاديث والآثار، للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبس، المتوفى ٢٣٥هـ، كتاب: المغازي، ما جاء في الحبشة وأمر النجاشي، ج ٨ ص٤٦٦، دار الفكر، ط/١، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

(٤) سورة يوسف، الآية (١٠٠) .

(٥) مختصر سنن أبي داود، للحافظ المنذري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد حامد الفقي، كتاب: النكاح،

فضلاً عما سبق، فإنه بالرجوع إلى أقوال المفسرين نجدهم تأولوا السجود في الآية السابقة بمعاني عدة، ليس السجود هو المعنى الوحيد فيها، بل تأولوها بمعاني أخرى منها:

١ . (أن السجود يقصد به التعظيم والتكريم كعادتهم في تعظيمهم الملوك.

٢ . أن السجود يقصد به التحية والتسليم، كالسلام تحية أهل الإسلام.

٣ . أن السجود يقصد به المعنى اللغوي وهو الذل والخضوع أي خضعوا وذلوا لأمره وتنفيذاً لطاعته.

٤ . السجود هنا لله تعالى شكراً على ما أولاهم به من نعم) [١].

فالسجود في الآية إن كان حقيقياً فهو منسوخ، ومحرم في هذه الأمة، لأن السجود لا يكون إلا لله وحده سبحانه وتعالى.

وأما إن كان غير حقيقي واحتمل المعاني المجازية سابقة الذكر فإن المراد يتضح والمطلوب يكون معلوماً.

فيجب ملاحظة هذه الفروق بين الإسلام وغيره، رعاية للخصوصية، والتزاماً بالطاعة والانقياد.

باب: في حق الزوج على المرأة، ج ٣ ص ٦٦، حديث رقم: ٢٠٥٣، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون .

(١) ينظر في ذلك: ١ . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ٨٦٧ . ٥٣٨هـ، ج ٢ ص ٢٧٦، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون

٢ . التفسير الوسيط للقرآن الكريم،أ.د/ محمد سيد طنطاوي، ج ٧ ص ١٤٩، مطبعة السعادة، ط/١، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م . .

٣ . الماوردي، النكت والعيون سورة يوسف .

المبحث السابع

الإشـــــارة

أكد علماء التنمية البشرية وخبراء فنون الاتصال على ضرورة استخدام الإشارة في التعبير عن المعنى؛ لأن أثرها عظيم وفائدتها جليّة (فالإشارة لغة منظورة أو لغة متحركة مفهومة، فإذا اقترنت الإشارة باللغة في موضعها الملائم أثرت تأثيراً عظيماً، وصوت المتحدث مهما تغيرت نبراته ونغماته لا يكفي للتعبير عن العواطف كلها، فلابد من أن تساعد حركات اليدين والرأس والمنكبين وملامح الوجه ونظرات العينين وإشارات الحاجب، وقد يجد المتحدث من اللائق ألا يصرح بلفظ فيشير إشارة تؤدي معناه، فتكون أبرع دلالة وأليق بالمقام) [1].

والمتأمل في واقع الحياة يجد أن من الإشارات ما تكفي في التعبير عن الكلمات، بل ربما يكون وقعها أعظم أثراً وأعمق تأثيراً، فإشارات النصر، والصمود وعدم الاستسلام، والرفض وعدم القبول وغيرها، تُعبِّر عن المعنى تعبيراً قوياً، لذا لا نعجب عندما نُشّبه المتحدث الذي يقف جامداً لا يُعّبر بإشارة بأنه مثل المذياع الذي يتكلم.

والناظر في سِيَر الخطب والمتحدثين يجدهم يستخدمون الإشارة أحسن استخدام في التعبير عن المعنى المراد، حتى إننا وجدنا بعض الخطباء كان ينفي تأثير الإشارة في التعبير، لكنه اضطر إليها واستخدمها، لأن مقام التأثير يحتاجها.

(ذكر الجاحظ أن أبا شِمْر كان إذا ناقش لم يحرك يديه ولا منكبيه، ولم يقلب بعينيه، ولم يحرك رأسه، حتى كان كلامه كأنما يخرج من صَدْع صخرة، وكان يعيب صاحب الإشارة بافتقاره إليها وعجزه عن بلوغ غايته، ويقول: ليس من المنطق أن

(١) فن الخطابة، ص ٢٨، ٢٨ بتصرف يسير، مرجع سابق .

تستعين عليه بغيره، ولكنه اضطر في مجادلة بينه وبين إبراهيم بن يسار النظام إلى تحريك يديه، والخروج من تزمته وتوقره، وكان الذي غرّه أن أصحابه كانوا يستمعون منه، ويسلمون له، ويميلون إليه، ويقبلون كل ما يورده عليهم،ويثبته عندهم، فلما طال عليه توقيرهم له، وترك مجاذبتهم إياه، وخفَّت مئونة الكلام عليه، نسي حال منازعة الأكفاء ومجاذبة الخصوم وكان شيخاً وقوراً وزميتاً ركيناً وكان ذا تصرف في العلم ومذكوراً بالفهم والحلم) [1].

هذا وقد ذكر العلماء بعض الضوابط في الإشارة حتى تُؤتي ثمارها بإذن الله سبحانه وتعالى:

(١ . يجب أن يراعي المتحدث أن الإكثار من الإشارة باليد . بغير سبب . خَطَل، وصرف للسامع عن الانتباه.

٢ . يجب أن يضع المتحدث الإشارة في مواضعها الملائمة لها المحتاجة إليها.

٣ . أن يجعلها موافقة للمعنى وسابقة لها، فيشير ثم ينطق، وإذا اجتمعت في الجملة صفتان جعل الإشارة للأخيرة، كما لو قال: الصهيونيون نعامٌ لن يقووا على نضال العرب الأبطال الأسود.

٤ . عليه ألا يحجب عن الناظرين وجهه بيده، أو يعترض بها جسمه، وأن تكون إشارته بيده سريعة إن كان الكلام حاداً لتطابق العاطفة، وأن يستعمل يمناه إذا كانت رجله اليمنى إلى الأمام، والعكس.

٥ . على المتحدث أن يتذكر أن بعض الموضوعات لا تحتاج إلى افتنان في الإلقاء، كالمناسبات الصغيرة، وان يكون الإلقاء والتعبير موافقين لدرجة تأثره، فإذا لم

(١) البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ج١ ص ٥١، دار الكتب العلمية، بدون .

يكن انفعاله قوياً فليتكلم كما يحس.

٦ . تفادي الإشارة إلى مجموعة معينة طوال الخطبة وتوزيع النظرات على الجميع.

٧ . تطابق الإشارات سرعة أو بطأ مع الكلام فتكون سريعة إذا التهب الكم، هادئة إذا هدأ) [١]

وإذا رجعنا إلى كتاب الله . سبحانه وتعالى . وسنة الرسول ﷺ نجد البيان الشافي في أهمية استخدام الإشارة في التعبير والتوضيح.

فالقرآن الكريم، قص علينا قصة سيدنا زكريا عليه السلام، والسيد مريم . $. وبين في الأولى أن سيدنا زكريا استخدم الإشارة في التعبير عن حاله، وذكر ذلك بصيغة أوحى التي تعنى أشار، يقول الله تعالى: ژڈڈڈژژڑڑکککگگژ [٢].

يقول ابن كثير . ~ .: (يقول تعالى مخبراً عن زكريا عليه السلام ژےۓڭڭۇژ أي علامة ودليلاً على وجود ما وعدتني، لتستقر نفسي ويطمئن قلبي بما وعدتني قال: ژۆژ أي علامتك ژۆۈۈۇژ أي أن تحبس لسانك عن الكلام ثلاث ليال وأنت صحيح سوّي من غير مرض ولا علة.

قال ابن زيد بن أسلم كان يقرأ ويسبح ولا يستطيع أن يكلم قومه إلا إشارة ژوۈ ۇېېژ أي الذي بُشّر فيه بالولد ژېېژ أي إشارة خفيفة سريعة ژىىائاژ أي موافقة له فيما أمر به في هذه الأيام الثلاثة زيادة على أعماله شكراً لله على ما أولاه.

قال مجاهد ژېېژ أي أشار وبه قال وهب وقتادة، وقال مجاهد في رواية عنه ژېېژ أي كتب لهم في الأرض وكذا قال السدي) [٣].

---

(١) ينظر :فن الخطابة، ص ٢٨، ٢٩ بتصرف يسير جداً، ورسالة أعمال ديل كارينجي، ص ٣٤٠ .

(٢) سورة مريم، الآية (٧) .

(١) تفسير ابن كثير، ج ٣ ص ١٥٤ بتصرف يسير .

ولا يخفى علينا استخدام سيدنا زكريا للإشارة للتعبير عما يريده، سواء كان هذا بالإشارة المجردة، أو بالإشارة المفضية إلى الكتابة كما جاء في رواية مجاهد والسدي.

وبيّن القرآن أهمية الإشارة في التعبير عن المعنى من خلال قصة السيدة مريم $، يقول الله تعالى: ژۇۆۆۈۈۇۆۈېېىىئائەئوئوئۇئۇئۆئۆئۈئۈئېئېئىئىئيبجبحبخبمبىبيتجتحتختمتىتيثجثحثمثىثيجحجمحىحيخجخحخمخىخيسجسحسخسمسىسيشجشحشخشمشىشيصحصخصمضجضحضخضمطحظمعجعمغجغمفجفحفخفمقحقمكجكحكخكلكمكىكيلجلحلخلملىليمجمحمخمنهجهمهىهييجيحيخيميىيي ٱٻٻٻٻپپپپٺٺٺٺٿٿٿٿٹٹٹٹٽٽٽٽڀڀڀڀڦڦڦڦڄڄڄڄڃڃڃڃچچچچڇڇڇڇڈڈډډڊڊڋڋڌڌڍڍڎڎڏڏڐڐڑڑڒڒړړڔڔڕڕږږڗڗڙڙښښڛڛڜڜڝڝڞڞڟڟڠڠڡڡڢڢڣڣڤڤڥڥڦڦڧڧڨڨککڪڪګګڬڬڭڭڮڮگگڰڰڱڱڲڲڳڳڴڴڵڵڶڶڷڷڸڸڹڹںںڻڻڼڼڽڽھھڿڿۀۀہہۂۂۓۓۮۯۺۻۼ۽ۿ ﴿١﴾.

يقول ابن كثير . ~ .: (... وقال ابن جرير عن قتادة قوله ژڦڄڑ قال كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح ولا يعرفون بالفساد ومن الناس من يعرفون بالصلاح ويتولدون به، وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به، وكان هارون مصلحاً محبباً في عشيرته وليس بهارون أخي موسى ولكنه هارون آخر قال وذكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفاً كلهم يسمى هارون من بني إسرائيل، وقوله: ژڃڃڃڃڇڇڇڇڍڍڌڌڎڎڏڏڑڑ أي أنهم لما استرابوا في أمرها واستنكروا قضيتها وقالوا لها ما قالوا معرضين بقذفها ورميها بالفرية وقد كانت يومها ذلك صامته صائمة فأحالت الكلام عليه وأشارت لهم إلى خطابه وكلامه فقالوا متهكمين بها ظانين أنها تزدري بهم وتلعب بهم ژڇڇڍڍڌڌڎڎڏڏڑڑ .

قال ميمون بن مهران ژڃڃڑ قالت كلموه فقالوا على ما جاءت به من الداهية تأمرنا أن نكلم من كان في المهد صبيا فقال السدي لما أشارت إليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا حتى تأمرنا أن نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها ژڃڃڇڇڍڍڌڌڎڎڏڏڑڑ أي من هو موجود في مهده في حال صباه وصغره كيف يتكلم؟ قال إني عبد الله، أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأه من الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه) ﴿٢﴾.

(١) سورة مريم، الآيات (٢٢، ٣٤) .

(٢) تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي،ج ٣ ص ٢١٣،المجلد

وعند الرجوع إلى سنة سيد المرسلين ﷺ نجد استخدام الإشارة واضحاً في التعبير عن المعاني المختلفة، والمضامين المرادة، وقد تأتي الصيغة بلفظ الإشارة أو بلفظ (أومأ) الذي يعني أشار، فإن كانت الإشارة باليد يقال (أومأ بيده) وإن كانت بالرأس يقال (أومأ برأسه).

وعند التأمل في سنة الهادي البشير ﷺ نجد أن الإشارة حملت المعاني المختلفة، وصوّرت المضامين المتعددة من الإجابة، والدعوة إلى الثبات في المكان، والرفض، والسجود،... مما لا يدع مجالاً للشك أن الإسلام بمصادره المختلفة اهتم بالإشارة كأحد المؤثرات في نفسية المستمعين.

وفيما يلي بعض الشواهد من سنة رسول الله ﷺ على استخدام الإشارة في المعاني المختلفة:

١ . معنى الدعوة إلى الثبات في المكان وعدم التغير عنه.

. ومن المعاني الإشارة إلى الشيء للتعريف به، عن سهل بن حنيف قال: ﴿ أومأ النبي ﷺ إلى مدينة فقال: إنها حرام آمن ﴾ [١].

. وتحمل معنى السجود وهو المرفوض شرعاً ولا يكون إلا لله سبحانه وتعالى، حدثنا أبو معاوية عن ابن سيرين أنه ذكر عنده عثمان بن عفان قال رجل: إنهم يسبونه، قال وَيْحهم يسبون رجلاً دخل على النجاشي في نفر من أصحاب محمد ﷺ فكلهم أعطاه الفتنة غيره قالوا وما الفتنة التي أعطوها؟ قال: كان لا يدخل عليه أحد إلا أومأ إليه رأسه، فأبي عثمان فقال: ما منعك أن تسجد كما سجد أصحابك؟ فقال: ما كنت لأسجد لأحدٍ دون الله ﴾ [٢].

العربي،بدون .

(١) مصنف بن أبي شيبة، كتاب: الرد على أبي حنيفة، مسألة حرم المدينة، ج ٨ ص ٣٩١ .

(٢) مصنف بن أبي شيبة، كتاب: المغازي، باب: ما جاء في الحبشة وأمر النجاشي، ج ٨ ص ٤٦٧، مرجع

. وتحمل معنى الدلالة التصويرية على الشيء، ففي قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر كما رواها البخاري مثل لنا الراوي ما حدث بين سيدنا موسى عليه السلام وسيدنا الخضر في واقعة إقامة الجدار بطريق الإشارة، ففي ما رواه البخاري في صحيحه ﴿ لقيا غلاماً فقتله، قال يعلى: قال سعيد وجد غلماناً يلعبون فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً فأضجعه ثم ذبحه بالسكين قال: أقتلت نفساً زكية بغير نفس لم تعمل بالحنث، وكان ابن عباس قرأها زكيةً زاكية:مسلمة كقولك غلاماً زكياً، فانطلقا فوجدا جداراً يريد أن ينقض فأقامه، قال سعيد بيده هكذا ورفع يده فاستقام، لو شئت لاتخذت عليه أجراً ﴾ [1]، وهذا يعطينا دلالة عظيمة على أن الإشارة مطلوبة ومهمة وذات أثر فعال في إفادة المعنى.

سابق .

(١) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً، ج ٧ ص ٣٠٧، حديث رقم: ٤٠٩٨، والحنث: الإثم، وقال سيعيد بيده: أي أقامه الخضر بيده .

المبحث الثامـن

نـبرة الـصــوت

نبرة الصوت عليها عاملٌ كبير في الإقناع، لأن الصوت بنغماته المختلفة، ومعدل ارتفاعه وانخفاضه يؤثر في المستمع، ويحرك مشاعره وأحاسيسه، فنبرة الصوت منحة إلهية على الداعي . أو المتحدث عموماً . أن يوظفها في مكانها الصحيح، حتى يؤثر في المستمعين، ويقوم بواجب شكر هذه النعمة التي وهبه الله إياها.

وعند الرجوع إلى الدراسات التنموية البشرية الحديثة نجدها تتفق مع هذا المبدأ، لأن أثر نبرة الصوت مما يتفق عليه العقلاء من الناس، وهي من القسمات الفكرية المشتركة ومما يقررون في ذلك أن (نبرة الصوت مهمة جداً، فهي التي تصبغ الكلمات بالصبغات المطلوبة، كالاهتمام واللامبالاة، والسخرية، والتهكم، أو الخطورة، فليحذر المتحدث أن لا تكون الأمور لديه واضحة، لئلا يختلط الأمر في ذهن المستمع) [١].

فعلماء التنمية البشرية يدعون إلى تنوع نبرة الصوت في الحالات المختلفة، من السخرية، والتهكم... الخ، لأن المشاعر الإنسانية تتأثر بقوة الصوت وضعفه، ورفعه وخفضه، وتفخيمه، وترقيقه، وترعيده، وتطريبه ....

لذا يوصي هؤلاء الخبراء المتحدث والداعية بأن يرعى ذلك (حاول أن تصبغ كلماتك بالنبرات الدالة على المعاني، فمثلاً الاهتمام يحتاج إلى نبرة الجدية، وربما التوقف عند كلمات معينة تعطي دلالة هذا المعنى، والفكاهة تُقَال وأنت مبتسم ضاحك، فلا يتصور أحدٌ يلقى بطرفة وهو عبوس مقضب الجبين، والأحاديث العلمية تحتاج منك إلى استرسال هادئ ونبرة هادئة لا تتغير، وهكذا...) [٢].

---

(١) الشخصية الساحرة، كريم الشاذلي، ص ٢٧٦، مرجع سابق .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧٦ بتصرف يسير .

ونحن نحترم ونقّدر هذا الكلام الطيب، ونزيد عليه أن الإسلام وضّحه وبيّنه واعتبر اتباعه وتنفيذه بنية صادقة طاعة لله ولرسوله ﷺ اللذين يدعوان العبد لابتكار أفضل الوسائل والأساليب واتباعها في هداية الناس إلى رب العالمين.

فمعلم البشرية ﷺ كان يراعي الحال في كلام ونبرة صوته، ففي الأمور التي تستحق الهدوء والإقناع والتبسط يتكلم بنبرة هادئة ليّنة يشوبها العطف والحنان والاتزان، وربما يعيد الكلمة ثلاثاً حتى يفهمها المستمع ويعقل معناها، من ذلك ما بوبّ له الإمام البيهقي . ~ . تحت عنوان: باب ما يستحب من تبيين الكلام وترتيله وترك العجلة فيه) [(١)].

وجاء من سنة رسول الله ﷺ ما يؤكد ذلك؛ فعن عائشة . < . قالت: ﴿ كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصْلاً يفهمه كل من سمعه ﴾ [(٢)].

وعن جابر بن عبد الله . {. قال: ﴿ كان في كلام رسول الله ﷺ ترتيل أو ترسيل ﴾ [(٣)].

وما يؤكد هذا التمهل والتبيين ما رواه أنس ﷺ ﴿ أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه وإذا أتى إلى قوم سلمّ عليهم ثلاثاً ﴾ [(٤)].

ومن شدة إيضاح النبي ﷺ وهدوء نبرة صوته لو أراد العادُّ أن يعد كلامه لعده، فعن عائشة . < . ﴿ أن البني ﷺ كان يحدث حديثاً لو عدّه العادُّ لأحصاه ﴾ [(٥)].

(١) السنن الكبرى، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ٤٥٨هـ، كتاب: الجمعة، باب: ما يستحب من تبيين الكلام وترتيله وترك العجلة فيه، ج ٣ ص ٢٠٧، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون

(٢) مختصر سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب: الهدي في الكلام، ج ٧ ص ١٨٩ .

(٣) مختصر سنن أبي داود، كتاب: الأدب، باب: الهدي في الكلام، حديث: ٤٦٧١، ج ٧ ص ٨٩، صحيح .

(٤) صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، ج ١ ص ٨٥ . .

(٥) صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: صفة النبي، ج ٦ ص ٣٣ ..

وهذا التكرار من النبي ﷺ للكلمة ثلاثاً في المواضع التي تحتاج إلى بيان وتوضيح، وإلا لا يُعيد الكلمة ثلاثاً، يقول الإمام الصنعاني (فليس تكريره ﷺ لما يقوله ثلاثاً بمطردٍ بل عدم التكرير غالباً، وإنما يكرر إذا لم يفهم عنه ﴾ ولا يخفى على ذي لبّ أن نبرة الصوت في مثل ذلك تكون هادئة مرتلة غير متعجلة ولا متشنجة.

وخفض نبرة الصوت يكون في الأمور التي تستأهل ذلك، خاصةً وأن الصوت المنخفض الواضح يوصل المعلومة بيسر ويمنع التلوث الضوضائي، لذا نجد لقمان الحكيم يوصي فلذة كبده بقوله: ژ□□□□□□□□□□□ژ [١].

ويزداد خفض الصوت وجوباً عند صاحب المقام المحمود سيدنا محمد ﷺ حياً وميتاً وهذا ما أكده القرآن الكريم في قوله: ژۇۆۆۈۈۇۆۆۈۇۇۆۈۋژ [٢].

روى البخاري في صحيحه عن أبي مليكة قال: ﴿ كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر . {. رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر ما أردت إلا خلافي قال ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله: ژٹٹٹٹڤڤڤڤٹٹٹٹژ [٣] قال ابن الزبير فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر ﴾ [٤].

فأبو بكر وعمر . {. رفعا صوتهما . عند رسول الله ﷺ وهو ما لا يليق بمقام صاحب النبوة ﷺ فنزل النهي الإلهي عن ذلك، فكان عمر ﷺ إذا تكلم مع رسول الله

(١) سورة لقمان، الآية (١٩) .
(٢) سورة الحجرات، الآية (٣) .

(١) سورة الحجرات، الآية (٢) .
(٤) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب: سورة الحجرات .

ﷺ خفض صوته، لدرجة أنه لا يُسْمع رسول الله ﷺ فيستفهم منه النبي الكريم ﷺ عن المعنى المراد.

وأما بعد وفاته ﷺ فلا يجوز رفع الصوت في مسجده لحرمته ﷺ وهذا ما دفع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى تغليظ القول لمن رفع صوته في مسجد رسول الله ﷺ وتوعده بالضرب لولا أنه كان غريباً عن المكان فلم يعرف الحكم.

﴿ عن نافع ابن عمر قال: سمع عمر رجلاً رافعاً صوته فقال ممن أنت؟ قال: من ثقيف، قال من أي الأرض؟ قال: أهل الطائف، قال: أما أنك لو كنت من أهل بلدنا هذا لأوجعتك ضرباً، إن مسجدنا هذا لا يرفع فيه الصوت ﴾ (١).

ومعلم البشرية ﷺ يغيّر من نبرة صوته إلى الحدة والشدة والارتفاع إذا كان الأمر يستأهل ذلك، ويتطلب إيقاظ المشاعر الإنسانية والضرب على أوتارها الحساسة، من ذلك حديثه عن الساعة وأهوالها، وعذاب القبر، والتحذير من النار، وتقويم خطأٍ بيّن ظاهرٍ لا يستدعي تأخيراً،وغير ذلك من الأمور التي تقتضي ذلك،وفيما يلي الأمثلة على هذا الكلام:

١ . الحديث عن الساعة وأهوالها: روى الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله قال: ﴿ خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهل له ثم قال: أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وإن أفضل الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة، ثم يرفع صوته، وتحمر وجنتاه، ويشتد غضبه إذا ذكر الساعة كأنه منذر جيش، قال: ثم يقول أتتكم الساعة هكذا . وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى صبحتكم الساعة ومستكم من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك ديناً أو ضياعاً

(١) مصنف عبد الرزاق، للإمام أبي بكر بن عبد الرزاق بن همام الصنعاني، كتاب: الصلاة، باب: اللغط ورفع الصوت وإنشاد الشعر في المسجد، ج ١ ص ٤٣٨، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/٢، سنة ١٤٠٣هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

فإليّ وعليّ ﴾ [1].

ففي هذا الحديث الشريف يوضح لنا سيدنا جابر ﷺ أن الرسول في خطبته إذا ذكر الساعة يرفع صوته وتحمر وجنتاه، ويشتد غضبه كأنه ينذر جيشاً بالكامل، لخوفه عليه من قرب الساعة، ولكي تأخذ الموعظة بتلابيب قلوبهم.

وهذا ما أكده الإمام البيهقي . ~ . في باب رفع الصوت بالخطبة، حيث أكد أن النبي ﷺ من خوفه على أصحابه من قرب الساعة وأهوالها كان يرفع صوته حتى تؤثر فيهم الموعظة، فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: ﴿ كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويفرق بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول: أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة، ثم يقول: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ ﴾ [2].

وعن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال وهو في بعض أسفاره وقد تفاوت بين أصحابه السير رفع بهاتين الآيتين صوته: ژٱٻٻٻٻپپپپڀڀڀڀٺٺٺٺٿٿٿٿٹٹٹٹڤڤڤڤڦڦڦڦڄڄڄڄژ [3].

فالرحمة المهداة ﷺ يخاف على أصحابه ويخشى عليهم، فيذكرهم بيوم القيامة، ويدعوهم للعمل لها، لذا يرفع صوته، ويخلطه بالخوف والشفقة والشجن، فعن جعفر بإسناده قال: ﴿ كان النبي ﷺ إذا ذكر الساعة اشتد غضبه وارتفع صوته، واحمرت

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مسند جابر بن عبد الله ﷺ، ج ٣ ص ٣١٠، مؤسسة قرطبة، القاهرة، وقال عنه الشيخ/ شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح .

(٢) سن البيهقي، كتاب: الجمعة، باب: رفع الصوت بالخطبة، ج ٣ ص ٢٠٦ .

(٣) سورة الحج، الآيتان (١، ٢) .

وجنتاه كأنه نذير جيش صبحكم ومساكم ﴾ [١].

وفي عذاب القبر، نجد الحبيب المصطفى ﷺ يخوّف المسلمين منه، ويبين لهم أنه كقطع الليل المظلم، وأنه يستحق منهم التعوذ منه، وطلب الغوث من الله أن يقيهم عذابه، ويجدّوا للعمل لأول منزلٍ من منازل الدار الآخرة.

روى الإمام أحمد عن عائشة . < .: ﴿ أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة إليها من المعروف شيئاً إلا قالت لها اليهودية وقاك الله عذاب القبر، فدخل عليّ رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله هل للقبر عذابٌ قبل يوم القيامة؟ قال: لا، وعمّ ذلك؟ قالت هذه اليهودية لا نصنع إليها من المعروف إلا قالت وقاك الله عذاب القبر، قال: كذبت يهود، وهم على الله كُذُبٌ لا عذاب دون عذاب يوم القيامة، ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملاً بثوبه، محمرةً عيناه، وهو ينادي بأعلى صوته أيها الناس أظلتكم الفتن كقطع الليل المظلم، أيها الناس لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً وضحكتم قليلاً،أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر، فإن عذاب القبر حق ﴾ [٢].

وفي الحديث عن النار، نجد نبرة النبي ﷺ تزداد حدةً للتخويف والإنذار، فعن النعمان بن بشير قال: ﴿ خطب رسول الله ﷺ فقال: أنذرتكم النار حتى لو كان في مقامي هذا لأسمع من في السوق حتى خرت خميصة كانت على عاتقه ﴾ [٣].

فمن شدة الموعظة سقطت خميصة رسول الله ﷺ عنه، لأن الحديث فيه تخويف للناس من عذاب الله، وفيه من الشفقة النبوية على الأمة ما لا يحتاج إلى بيان، وهذا الموقف يستدعي رفع الصوت، وزيادة حدته، ليكون التأثير أبلغ.

---

(١) سنن البيهقي، كتاب: الجمعة، باب: رفع الصوت بالخطبة، ج ٣ ص ٢٠٧، مرجع سابق .

(٢) المسند للإمام أحمد، مسند السيدة عائشة <، ج ٥٣ ص ٣٦٤ .

(٣) سنن البيهقي، كتاب: الجمعة، باب: رفع الصوت بالخطبة، ج ٣ ص ٢٠٧، مرجع سابق . .

ومن أمثلة رفع نبرة الصوت في تقويم خطأٍ بيّن لا يستدعي التأخير، ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو قال: ﴿ تخلّف عنا رسول الله ﷺ في سفرة سافرناها، فأدركنا وقد أرهقنا الصلاة، ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادي بأعلى صوته: ويلٌ للأعقاب من النار، مرتين أو ثلاثاً ﴾ (١).

فالهادي البشير ﷺ يخاف على أصحابه من مغبة عدم إسباغ الوضوء، فيناديهم بأعلى صوته، لينتبهوا للأمر، خاصةً وأن الوضوء وضاءةٌ وطهارةٌ ونورٌ ومطردة للشيطان، ومجلبة لمحبة الرحمن . سبحانه وتعالى ..

فالرسول ﷺ كان يُغّير نبرته بحسب ما يقتضيه المقام، حتى يؤثر في مشاعر الآخرين وأحاسيسهم، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الدعاة إلى الله، وهذا ما تؤكده دراسات التنمية البشرية المختلفة، لأن ذلك من المشتركات الإنسانية العامة المتفق عليها.

ومن هنا يظهر خطأ بعض الدعاة والخطباء الذين يسيرون على وتيرة واحدة في الحديث فيشرد ذهن المستمع وينفر منه، ولا تتفاعل مشاعره مع ما يقوله، وهذا يعتبر جهل بفنون الدعوة إلى الله تعالى.

وإليك أيها الداعي إلى الله بعض فنون استخدام الصوت حتى تؤثر في المستمعين:

(١ . مطابقة الكلام والنبرة الصوتية للحديث (ترغيباً وترهيباً).

٢ . التنوع في الصوت لا النمطية والاستمرار على أداءٍ واحد.

٣ . موافقة الصوت للقلب.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: من رفع صوته بالعلم، ج ١ ص ٥٦، لجنة إحياء كتب السنة، ط/٤، سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م .

٤ . الاعتناء بالأجهزة النقالة للصوت.

٥ . الاعتدال في سرعة الصوت.

٦ . اجتناب ما يضايق الحنجرة كأزرار الملابس.

٧ . الإعداد المسبق للصوت، كعدم الأكل أكثر من اللازم، أو شرب ماء بارد جداً، وخلاف ذلك.

٨ . التأني أثناء الكلام وعدم التسرع المذموم.

٩ . تبيين الكلام وترتيله وترسيله.

١٠. الإقلال من النحنحة والكحة إلا لضرورة وتجنب عيوب النطق كالفأفأة والتأتأة واللثغة وغيرها.

ويجب أن ننبه الدعاة إلى أن الاهتمام بنبرة الصوت أمرٌ درج عليه السابقون لأثره في المستمع، روي عن الأحنف بن قيس قال: ﴿ ما رأيت رجلاً تكلم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام ولا عرف حدوده إلا عمرو بن العاص؛ كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام، وأعطى حق المقام، وغاص في استخراج المعنى بألطف مخرج حتى كان يقف عند المقطع وقوفاً يحول بينه وبين تبعيته من الألفاظ ﴾ [١] وهذا مثالٌ وليس على سبيل الحصر.

(١) ينظر في ذلك: رسالة أعمال كارينجي، ص ٣٣٦، مرجع سابق .

الخاتمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم... **وبعد؛؛؛**

بعد معايشة هذا البحث والخوض في أثبار أغواره وفقني الله لعدة نتائج وتوصيات.

أما النتائـج:

١ . دراسة (لغة الجسد) أمرٌ مهم جداً لوضع أيدي الدعاة على أحد المؤثرات المهمة التي قد يغفل البعض عنها.

٢ . تطبيق النبي ﷺ لهذه الأشياء قبل أن يتكلم فيها المختصون المحدثون، ليعطي دليلاً آخر على صدق النبي الكريم . صلوات ربي وسلامه عليه ..

٣ . بيان أن لكل أمة ذاتيتها وهويتها، فلابد من احترام خصوصيات الأمم وهويتها، وهذا يعني أن أصول هذه المؤثرات مقبولة، ولكن فهيا بعض الأشياء مرفوضة وهو ما يجب أن نعيه حتى تظهر شخصيتنا وذاتيتنا الرشيدة.

٤ . تقدير النتاج العلمي لدراسات التنمية البشرية المختلفة، وإن كان الغرب مصدرها، لأن العلوم الإنسانية القائمة على الإحصائيات والاستبيانات، والتجارب العلمية، تشترك فيها الإنسانية بقدر كبير، وإن كان هناك بعض المحاذير فيجب التنبيه عليها، ولا يكن ذلك مدعاةً لرفضها من أصلها، وهذا هو الفرق بين الفكر الوسطي والفكر المتشدد الذي لا يقبل الآخر.

٥ . وجوب الاهتمام بمثل هذه الدراسات، لأنها تعين الداعية على أداء رسالته، كما أنها مفتاح للخير بالنسبة لغير المسلمين، لأنهم عندما يعلمون هذه الأشياء من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ يفكرّون ويتأملون في ذلك الكلام، فسرعان ما يقودهم التأمل والتفكرّ إلى الدخول في دين الله أفواجاً، وكم من امرئٍ كانت كلمةٌ أو فكرةٌ أو حقيقة علمية سبباً في إسلامه وإيمانه، والأمثلة شاهدة على ذلك، وعلى الجانب

الآخر، إذا لم يسلم ويؤمن فإنه سيحترم ذلك الدين الذي يقدر الحقائق الإنسانية المشتركة.

وأما التوصيات:

١ . فأوصي نفسي والباحثين بإتقان وفهم هذه الموضوعات وتطبيقها في حياتنا العملية، ولا تكون حبراً على ورق، أو مجرد دراسة نظرية لا تعدو إلى التطبيق.

٢ . أوصي قسم الثقافة الإسلامية بالكلية، أن يضع خطةً واضحةً محددة المعالم في مثل هذه الدراسات للطلاب الباحثين حتى يكملّ بعضهم بعضاً، ويكتمل صرح البناء المعرفي . قدر الاستطاعة.

٣ . القيام بدراسة هذه الموضوعات على أساس الحيدة العلمية، والتعاون المشترك لا على نظرية المؤامرة، ولا على النظرة القاتمة على النظر إلى نصف الكوب الفارغ، ولكن يجب أن تكون هذه الدراسات دعوة للتعارف والتكامل؛ مع احتفاظ الأمم بخصوصياتها وهوياتها.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؛؛

د/ محمود رشاد محمد

الشرقية . الزقازيق . بني عامر

المصـادر والمراجـــع

أولاً: القرآن الكريـم.

ثانياً: السنة النبويــة:

(١) سنن الترمذي، وهو الجامع الصحيح، مكتبة الرياض الحديثة، ط/١، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٢) السنن الكبرى، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ٤٥٨هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون.

(٣) صحيح البخاري، لجنة إحياء كتب السنة، سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

(٤) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الفكر، بيروت، لبنان، بدون.

(٥) مختصر سنن أبي داود، للحافظ المنذري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون.

(٦) المسند، للإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، ط/١، سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

(٧) مصنف عبد الرزاق، للإمام أبي بكر بن عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/٢، سنة ١٤٠٣هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

(٨) المصنف في الأحاديث والآثار، للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبس، المتوفى ٢٣٥هـ، دار الفكر، ط/١، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٩) الموطأ للإمام مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد آل نهيان، ط/١، سنة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

ثالثاً: شـروح الـقرآن:

(١) تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، المشتهر بخطيب الري، دار الفكر، ط/١، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

(٢) تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المجلد العربي،بدون.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، أ.د/ محمد سيد طنطاوي، مطبعة السعادة، ط/١، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٤) في ظلال القرآن، الشيخ/ سيد قطب، دار الشروق، ط/٢٥، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ٨٦٧ . ٥٣٨هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون.

رابعاً: شروح السنـــة:

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.

(٢) عون المعبود في شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، مكتبة ابن تيمية، ط/٢، سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

خامساً: كتـب عامــة:

(١) أعمال كارنيجي المتعلقة بالشخصية الإيجابية، للباحث/ عادل هندي، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، ٢٠١١م.

(٢) البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، المتوفى ٢٥٥هـ، دار الكتب العلمية، بدون.

(٣) الخطابة علم وفن، د/ شرف الدين أحمد آدم، دار الحسين الإسلامية، ط/١، سنة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٤) الخطابة وإعداد الخطيب، إصدار وزارة الأوقاف المصرية، بدون.

(٥) سحر القيادة، د/ إبراهيم الفقي، دار أجيالي للطباعة، ط/١، سنة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨٩م.

(٦) السلوك الاجتماعي في الإسلام، الشيخ/ حسن أيوب، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط/١، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٧) الشخصية الساحرة، كريم الشاذلي، دار أجيال، ج١، سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

(٨) فتاوى معاصرة، د/ يوسف القرضاوي، ط/١، سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

(٩) فن الاختلاط بالناس، جين مارتين مؤلفة أمريكية شهيرة، مكتبة جرير، ط/٢، سنة ٢٠٠٨م .

(١٠) فن الخطابة، د/ أحمد محمد الحوفي، نهضة مصر، ط/ سنة ١٩٩٨م.

(١١) معجم إدارة الموارد البشرية وشئون العاملين، د/ حبيب الصحاف.

فهـرس الموضوعـــات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمـة	٣٤٥
التمهيد	٣٤٩
المبحث الأول: الشكل العام . حسن الهندام	٣٥١
الأمر الأول: الثياب وصف لا شكل	٣٥٥
الأمر الثاني: طول الثوب وتقصيره	٣٥٨
الأمر الثالث: تخصيص ثياب لمهنة معينة	٣٦١
المبحث الثاني: نظرات العين	٣٦٣
المبحث الثالث: حركة الرأس	٣٧٠
المبحث الرابع: تعبيرات الوجه	٣٧٦
المبحث الخامس: الثغر البسام (الابتسامة الجذابة)	٣٨٢
المبحث السادس: الوقفة	٣٨٩
المبحث السابع: الإشارة	٣٩٤
المبحث الثامن: نبرة الصوت	٤٠١
الخاتمـة	٤٠١
المصادر والمراجع	٤١٢
فهرس الموضوعات	٤١٥